

جِنْوَلَتُرْ قَرْ وِيسْ

أَوْدِيَّات

الْمَهَاجَة

الْمُسْلِمُونَ



هَذِهِ الْمُعَايِّنَ



أولويات
المرأة
المسلمة

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

م ٢٠٠٦ - ١٤٢٦

دار المعاي

عمان - الأردن

وكيل التوزيع

مؤسسة المؤمن للتجارة والتوزيع السعودية - الرياض
هاتف: ٢٤٣٥٤٢١ فاكس: ٢٤٣٥٤٧٣

جَنْوَلْتَرْ وَيْسِنْ

أُولُويَّاتٍ

الْمَهْمَةُ

الْمُسْكَنُ

دَلْرُ الْعَالَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين القائل: «يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادَحٌ إِلَى رِبِّكَ كَدْحًا فَمَلَاقِيهِ الْجَنَاحُ وَالصَّلَوةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِهِ الْهَادِي الْأَمِينِ الْقَائِلِ» «وَمَنْ رَغَبَ عَنْ سُتْرِيْ فَلَيْسَ مَنِّي» وبعد: إن الحياة دار كفاح وكدح...، تكثر فيها المشكلات، وتضارب الآراء حول الحلول الناجعة، والأولويات الراجحة.

وأصبح عصرنا عصر تخطيط وبرمجة، بعيداً عن التخبط والاضطراب. وطالما أن المرأة هي أولى مكونات المجتمع فلا بد لها من فهم الأولويات في حياتها، حتى تشق طريقها على أساس علمية شرعية وهذا ما دفعني لكتابة هذا البحث.

إن كثيراً من أعمالنا تفتقر إلى الضوابط الشرعية، وعدم وضوح الرؤية لما علينا من واجبات وما لنا من حقوق. وهذا ما يؤدي إلى التعثر والتخبط في الوصول إلى مبتغاناً.

ولكم هدمت أسر بسبب تضارب الأولويات مع الشانويات وعدم اتفاق الزوجين على هدف محدد، فتضارعت الرغبات بين زوج يريد عمل زوجته خارج المنزل بحجية زيادة دخل الأسرة مثلاً وهي تريد خلاف ذلك، فتأتي إعطاءه من راتبها لأنها ترى أن مهمتها المرأة الأساسية كونها زوجة وربة أسرة، وليس رافداً اقتصادياً للأسرة أو مورداً مادياً لها! أو لأنها لا ترغب في العمل خارج المنزل أصلًا!

وقد تكون القضية معكوسة، إذ الزوج يصر على رفض عمل زوجته خارج المنزل!

فإذا كانت الدول الوعية تحرص على التخطيط المستقبلي للوصول لهدفها، فما الأسرة إلا صورة مصغر للمجتمع. فلا بد لها من ترتيب أولوياتها وتنظيمها لئلا تقع في المشاكل مستقبلاً.

إن أول واجباتنا أن لا نكتفي بالشكوى، فهي سلاح العاجزين، ولن يعني عنهم شيئاً. كما أن الأمور لن تغيرها النوايا والأمال - على أهمية ذلك في التغيير-. فلنبدأ من داخل أنفسنا فنجعل حياتنا كلها لله سبحانه وتعالى.

ومن ثم نضع كل شيء في موضعه المناسب. وكأنني بالبعض يقول: علام ت يريدون من المرأة أن تهتم بالأولويات ونحن نجد الكثير من الرجال يضيعون أعمارهم سدى؟

أما إنه ما دام حديثنا عن المرأة، فالناجحة هي من تحسن التوفيق بين الواجبات المختلفة، فإذا ازدحمت عليها تلك الواجبات، فلا تنهزم أمامها، بل لا بد من تقديم الأولويات.

وبالاطلاع على ما تحت أيدينا مما كتب في هذا الموضوع نجد أن الكتب والمقالات فيها آراء مختلفة حول هذا الموضوع. وبعد قراءات حول تلك الآراء، وجدنا أنها تدور حول: الأمور الصعبة أولاً.

ولقد قيل: أحسن التخطيط تصل لأحسن النتائج...

وقيل: عليك بهم أولاً... يسمونها يوماً جدول إيزنهاور، ويوماً جدول الأهمية أو إدارة الوقت...

وفي عودة إلى كتاب الله عز وجل وسنة رسوله (صلوات الله وسلامه عليه) وما ذكره فقهاؤنا الأعلام (رضوان الله عليهم) - في هذا الموضوع - نجد أن التمسك بالثوابت هو أول الأولويات.

وليس في آراء الغربيين جديد ذو بال، أمام ما ذكره فقهاؤنا في هذا الموضوع

استناداً إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.
وقد جاء البحث موزعاً على ثلاثة فصول.

الفصل الأول: تمهيد حول الإخلاص لله وحده وتزكية النفس.

الفصل الثاني: حول الأولويات في ميزان الأصوليين والإداريين والتربويين.

الفصل الثالث: يبحث في الأولويات في حياة المرأة المسلمة:
فالعقيدة أولاً - ثم العلم وأولوياته، وتحدثنا عن العبادة والعمل الصالح،
وعملها في المنزل ومن الأولويات التخلص مما يهدى الوقت.

وغمي عن القول أننا نريد إلقاء الضوء على أولويات المرأة المسلمة التي التزمت
بتتعاليم دينها، وتقصد أن تكون عبادة الله وتوحيده أول اهتماماتها، مع ما يتعلق
بهذا الهدف من تربية وتوجيه، والسعى لتطبيق دينها في باقي أمور حياتها.

أما المرأة التي تعيش في جاهليتها المعاصرة، سواء كانت في ديار المسلمين، أو
في ديار اليهود والنصارى، وكذا الأمم المشركة... فلا يعنيها أمرها، لأن أولوياتها
تشمل في قضيائياً المظهر والجنس وكذلك الطعام والشراب وكماليات الحياة ولا
تتعداها!

أسأل الله تعالى أن يعيننا لتحقيق أهدافنا وتعزيز قدراتنا، وأن نوفق لتحقيق
غاية وجودنا في عمارة الأرض على هدي الإسلام، إنه سميع مجيب.

الفصل الأول

تمهيد

- ١- المرأة والرجل في التكليف سواء.
- ٢- الإخلاص لله والنية الصالحة أساس لصحة العمل.
- ٣- هل المشقة مقصودة في التكليف؟
- ٤- تزكية النفس.

«١»

المرأة والرجل في التكليف سواء

سؤال يدور في خاطر أخواتي المؤمنات: لماذا المرأة على الخصوص! أوليست المرأة والرجل في التكليف سواء؟!
حقاً إن الأصل هو شمول أمور الشريعة للرجل والمرأة. فالمسلمة لا تختلف عن الرجل في التكليف إلا ما جاء من أدلة تختص بأحدهما كأمور القوامة للرجل، والحجاب والعدة للمرأة ونحوها....

وحسناً ما قاله «مراد هوفمان»^(١) وهو يصف مكانة المرأة المسلمة بالنسبة إلى مكانة الرجل بأنها: «المساواة في الكرامة مع اختلاف الأعباء، والمساواة في المنزلة مع اختلاف الأدوار، والمساواة في القيمة مع اختلاف القدرات».

فال العبادة والعمل ليست من نصيب الرجل وحده. ولقد كانت النسوة من سلفنا الصالحة وفي خير القرون، يشهدن الجمعة والجماعات، ويحضرن مجالس العلم... ولقد تساءلت أم سلمة (رضي الله عنها) فقالت:
- يا نبى الله، مالي أسمع الرجال يذكرون في القرآن والنساء لا يذكرون، فأنزل الله تعالى الآية:

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فَرُوجُهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَاكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَاكِرَاتِ أَعْدَ اللَّهُ لَهُمْ بِغَفْرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.^(٢)

١) يوميات ألماني مسلم، مراد هوفمان، ص ٢٤.

٢) سورة الأحزاب، الآية ٣٥، ويشتر تفسير ابن كثير، ج ٣، ٥٣٦.

فعلام يرضى البعض بحياة الدعة والسكنون؟ هلا تهيأنا جمِيعاً رجالاً ونساءً
للرحيل بعمل صالح يصلح للقاء الله عز وجل؟!
نلتزم بالمعايير الشرعي، ونتقيد بالنص من الكتاب والسنة، ونقدمه على العقل
والأفق، فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم^{هـ} كما قال الله تعالى.
وما أحسن أن تسمو أمنياتنا وتطلعتنا!
لكنها ستكون بمحضها السذاجة إن لم تكن واقعية ولم نراع الأولويات في
حياتنا!

فإحدى النساء وعند التعارف معها قالت: إن أمنيتها أن تصبح داعية! تقول
ذلك وهي نصف متبرجة.

هلا سرت جسمها أولاً، ومن ثم تدعو الآخريات؟!
هلا عرفت فقه الحجاب والتزمت به، وراقبت الله تعالى في نفسها قبل
الأمنيات، وعلمت مكانتها في هذا الوجود ورسالتها في الحياة، وبذلت جهدها
لطاعة ربها فذلك أولى من عالم الأماني!

فيإذا كان الغرب الكافر يؤكدون في دراساتهم على أهمية رسالة المرء في
الحياة، وأنها تعطيه القاعدة الأساسية التي في ضوئها يقرر على أي حائط سيستند
السلم الذي سيصعد عليه إلى أعلى. (١)

وأن السعادة الحقيقية في الحياة هي أن تقضي حياتك من أجل هدف تعتقد
أنه هدف مقدس «كما يقول برناردشو»،

فما بال الكثير يقبلون على العمل حسب تعاليم دينهم بحذر وعلى استحياء،
وكأن الدين تهمة أو وصمة يحبون تخفيها!

(١) إدارة الأولويات، ص ١١٥، تأليف ستيفن ر. كوفي، دروجر ميريل، ريكاردو ميريل، ترجمة: د. السيد المتولي
حسن، ط ١٩٩٩م، نشر مكتبة جرير، الرياض.

فلا بد للمرء أن يعيش لهدف كي يشعر بمتعة السمو والإنجاز والترفع عن السفاسف.

إذ ليس المهم الحياة، أية حياة، بل المهم جودتها، ولا مضت وذرتها الرياح، وعفى عليها الزمن.

وليس أفضل من مرضاة الله عز وجل سبيل للفوز بالدارين، وللتنعم بسعادة الدنيا والآخرة. وأكرم به من هدف سامي يسعى الجميع رجالاً ونساءً لتحقيقه، وينشطون للفوز به.

«٢»

الإخلاص لله وحده، والنية الصالحة أساس لصحة العمل

(الإخلاص: هو تخلص العمل من الشوائب كلها قليلها وكثيرها حتى يجرد فيه قصد التقرب فلا يكون فيه باعث سواه. وهذا لا يتصور إلا من محب الله، مستترق بهم بالآخرة بحيث لم يبق للدنيا في قلبه قرار).^(١) وهو أساس لصحة العمل وسبيل المرء إلى التوفيق.

ولقد قال الفضيل (رحمه الله): العمل الحسن هو أخلصه وأصوبه. قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل. وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل. والخالص ما كان لله، والصواب ما كان على السنة.

ولو نفع العمل بلا إخلاص لما ذم الله المنافقين، وقد قال الله تعالى: «وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً مثراً». ^(٢)

فكل عمل لا يراد به وجه الله فهو باطل. كما أن كل عمل لا يوافق شرع الله لم يكن لله. ولا يستفيد صاحبه منه شيئاً في آخرته. (إذا ترك السيرات لغير وجه الله لم يثبت عليها وإن لم يعاقب عليها. وإن تركها لوجه الله أثيب عليها. ولا يكون ذلك إلا بما يقوم بقلبه من رجاء رحمة الله أوخشية عذابه...).

فتبيّن أن الورع لا يكون عملاً صالحًا إلا بفعل المأمور به من الرجاء والخشية. إلا فمجرد الترك العدمي فلا ثواب فيه).^(٣)

ومن علامة الإخلاص في الدعوة: الانفعال بها والتتحمس لها وبذل أقصى

١) المواقف للإمام الشاطئي، ١٤٧/٢.

٢) الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، ١٤٥/٢٠.

الجهد في تبليغها. وذلك لأن من أخلص لشيء أعطاه كل ما يملك. فماله ووقته وفكرة وكل إمكاناته تصبح في خدمة دعوته.

ومن إخلاص العابد: خجله من عمله. وهو شدة حياته من الله إذ لم ير ذلك العمل صالحًا له مع بذل مجده فيه.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتُوا وَقُلُوبُهُمْ وَجْهَةٌ أُنْهَمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾
وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «هو الرجل يصوم ويصلي ويصدق ويحاف أن لا يقبل منه».

فالمؤمن جمع إحساناً في مخافة وسوء ظن نفسه. والمغفور جمع حسن الظن بنفسه مع إساءة.^(۱)

ولقد قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾.

فيجب التحرز عن الأمور المهلّكات والبعد عن الرياء والتتصنّع للخلق، والإخابت وخسرت من لم تتوّزع عن ذلك وأبطلت عملها بمسايرة ركب الغافلات فلم تصصح نيتها وتخلص في عملها.

فبالإخلاص الذي يحبس القلب عن الإلتفات إلى غير الله تخبس الجوارح عن المعاصي والشهوات. ويعقل اللسان فلا يتلفظ إلا بما فيه خير وصلاح. وكل مؤمن مخلص لله تعالى تهون عليه الدنيا بأسرها أمام مرضاه الله: ﴿وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يُشْرِي نَفْسَهُ بِتَغْيِيرِ مِرْضَاهُ اللَّهُ وَاللَّهُ رَوُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾.^(۲)

(وَإِذَا ذاقَ الْقَلْبُ طَعْمَ عِبَادَةِ اللَّهِ وَالْإِخْلَاصِ لَهُ لَمْ يَكُنْ عَنْهُ شَيْءٌ قَطُّ أَحَلَّ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَذْنَ وَلَا أَطْيَبُ. وَالْإِنْسَانُ لَا يَتَرَكْ مَحْبُوبًا إِلَّا مَحْبُوبٌ آخَرُ يَكُونُ

(۱) تهذيب مدارج السالكين، ۳۲، كتبه ابن القيم وعلمه عبد المنعم العربي، ط ۱۴۳۱ هـ، نشر مكتبة السوادي، جدة.

(۲) سورة البقرة، الآية ۲۰۷.

أحب إليه منه أو خوفاً من مكروه...

فإن ذاق طعم الإخلاص، وقوي في قلبه انصرافه عنه بلا علاج).^(١)
بالتعود لأن يستعمل كل شيء لله، ويصرف هواه إلى ما ينفعه بحصول
المقصود. لأن من عود نفسه العمل لله لم يكن عليه أشى من العمل لغيره. ومن
عود نفسه العمل لهواه وحظه لم يكن عليه أشى من الإخلاص والعمل لله. وهذا
في جميع أبواب الأعمال. فليس شيء أشى على المتفق لله من الإنفاق لغيره،
وكذا بالعكس).^(٢)

فالصدق في الإخلاص من أشى الأمور على النفوس. وهذه المشقة لا يعاني
منها عوام الناس ودهماؤهم دون العلماء والأئمة والصالحين فقد لاقوا هذه
المعاناة.

يقول سفيان الثوري -رحمه الله- ما عالجت شيئاً علي أشد من نitti إنها
تقلب علي.

ولذلك كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) كثيراً ما يدعو بهذا الدعاء: يا
مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك. وكان يكثر في قسمه أن يقول: لا ومقلب
القلوب).^(٣)

فالنية والقصد هي روح العمل وأساسه.

إنها عزم وتصميم وجمع للهمة وتركيز للإرادة وإعمال الفكر، بحيث
يدخل العبد في العبادة مرتفع الحس. محدد الإرادة والاتجاه، يقطأ واعياً مخلصاً
في اتجاهه إلى الله.

١) النباري، ٨٨/١٠، لابن تيمية.

٢) عدة الصابرين، ٥٩.

٣) مقاصد المكلفين، ٣٦٠، د. عمر سليمان الأشقر، ط٢١٩٩٠م، مكتبة الفلاح، الكريت، دار النفائس، الأردن.

قال رجل للرسول صلى الله عليه وسلم: إني أقف الموقف أريد وجه الله وأريد أن يرى موطنني فلم يرد عليه حتى نزلت الآية: **فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلَا يَعْمَلْ صَالِحًا وَلَا يُشْرِكُ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**.^(١)

فأعتبر إفساد النية إفساداً للعمل وإشراكاً بالله.
وهذا يجعل العبد يقظاً دائماً، يسائل نفسه كلما أقدم على العبادة: لم أعبد؟ لم أصلى؟ لم أصوم؟ لم أتصدق؟!
وقد قرر علماء التربية أن الفعل الوعي البصري هو ميزة الإنسان الذي يسعون إلى تكوينه.

فالإنسان ليس آلة صماء تؤدي أعمالاً بغير وعي وفهم وحضور قلب.^(٢)
فلا بد من استصحاب النية وحضور القلب مع العمل الصالح ليوفى العبادة حقها وتكون كاملة بقلبه وجوارحه.

ولا فإن أول من تسجر بهم النار: فاقدى الإخلاص.
فقد جاء في الحديث الصحيح: «إن أول الناس يقضى يوم القيمة عليه رجل استشهاد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال: كذبت ولكنك قاتلت ليقال جريء، فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار... ورجل تعلم العلم... الحديث».^(٣)

فالعمل الواحد يقصد به أمر فيكون عبادة. ويقصد به شيء آخر فلا يكون كذلك. بل يقصد به شيء فيكون إيماناً. ويقصد به شيء آخر فيكون كفراً كالسجود لله أو للصنم.^(٤)

(١) سورة الكهف، الآية ١١٠.

(٢) مقاصد المكلفين، ١٠٣ / ج، عمر سليمان الأشقر، ط ١٩٩٠ م، نشر دار النافع، الأردن، نشر مكتبة الفلاح، الكويت.

(٣) أخرجه مسلم وأحمد والنسائي عن أبي هريرة، ينظر صحيح الجامع الصنف، ٤٠٤ / ١.

(٤) المواقف، ٣٢٤ / ٢.

وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَقْبِلِينَ﴾ فتلك سيما العمل المقبول. إنها مقيدة بالتقى. أما إذا اتجه المكلف في العبادات إلى المقاصد التابعة: فكان همه من أداء الصلاة مثلاً (حفظ المال والدم، أو احترام الناس...) فإن ذلك منه رباء وهو صنيع أهل الزندقة والنفاق. وتبطل صلاته. لأن المقاصد الأصلية للصلاحة إنما تعني التوجة إلى الله بالشكر ونيل رضاه وثوابه في الآخرة.^(١) والعمل بغير نية عناء. والنية بغير إخلاص رباء. والإخلاص من غير تحقيق هباء.^(٢)

فمن صامت وهي تقصد الحمية والتحريف، لم تكن مأجورة على ذلك الصيام.

وفي الصدقة والإصلاح بين الناس، لا يكون الباعث لهوى في الصدقة على فلان وعلان، ولا يكون ليشتهر الرجل بأنه (والله) رجل طيب يحضر على الصدقة والمعروف والإصلاح بين الناس، ولا تكون هناك شائبة تذكر صفاء الاتجاه إلى الله بهذا الخير. فهذا هو مفترق الطريق بين العمل يعمله المرء فيرضي الله عنه ويشهيه به، والعمل نفسه يغضبه الله عليه ويكتبه له في سجل السيئات.^(٣)

وقد قال الله تعالى ﴿لَا خَيْرٌ فِي كُثُرِهِمْ إِلَّا مِنْ أَمْرٍ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ. وَمَنْ يَفْعُلُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاهُ اللَّهُ فَسُوفَ نَزَّلِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.^(٤)

فليسائل أحدنا نفسه: هل حقيقة أنني أريد وجه الله بعملي هذا؟ أو عند

١) المواقفات ٣٠٨/٢، للإمام الشاطئي، نشر دار الفكر للطباعة والنشر.

٢) مختصر منهاج القاصدين، ٣٦٠.

٣) الظلال ٧٥٩/٢، في ظلال القرآن: سيد قطب، نشر دار الشروق.

٤ - سورة النساء، الآية ١١٤.

امتناعي عن عملي ذاك.

فما فعل بنية الامتثال يثاب المرء عليه. وإنما حب الظهور داء خفي، ما أحوج المسلم بتعهد قلبه ونفسه وزيادة صلته بالله ليكافح ذلك الداء، ويذب عن قلبه شره. وأما من عُدِّمت عندها البنية الصالحة، وأصبحت عباداتها للدنيا فذلك محبط للعمل.

فمن حجت للفسحة - لا سيما وأن مناسك الحج أصبحت تؤدي بيسر وسهولة - أو جاءت للحج للاستراحة من مهام الأسرة، فوجدت في الحج فرصة لها لذلك وليقوم غيرها بمهام البيت. فهي بالنسبة تلك غير مأجورة إن لم تكن آئمة. وقد قال الله تعالى: **هُمْ مَنْ كَانَ يَرِيدُ الدُّنْيَا وَزِينَتْهَا نُوفٌ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يَخْسُونَ.** أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار.^(١)

أما بالنيات الصادقات فالمباحثات تصير طاعات كما قال الإمام التوسي رحمة الله. فالجماع يكون عبادة إذا ثُنوَّيَ به قضاء حق الزوجة ومعاشرتها بالمعروف الذي أمر به الله تعالى. أو طلب ولد صالح أو إعفاف الزوجة ومنعهما جميعاً من النظر إلى الحرام أو التفكير فيه أو الهم به.^(٢)

ولقد جاء في حديث أبي ذر رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: (في بعض أحدكم صدقة). قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوة ويكون له فيها أجر؟ قال: (رأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر).^(٣)

وقال علي كرم الله وجهه: (لو أن رجلاً أخذ جميع ما على الأرض وأراد به وجه الله تعالى فهو زاهد، ولو أنه ترك الجميع ولم يرد به وجه الله تعالى فليس بزاهد).

١) سورة هود، الآية ١٥-١٦.

٢) شرح صحيح مسلم، ٧/٩٢.

٣) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب كل نوع من المعرف صدقة، والبعض يطلق عن الجماع.

فلتكن جميع حر كاتك وسكناتك لله، مقصورة على عبادة أو ما يعين على العبادة. فإن كان ذلك قصدك بهما صار ذلك عبادة في حرقك.^(١) فالنية أساسية في الأعمال وقد جاء في الحديث الصحيح: «من أتى إلى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلني من الليل فغلبته عيناه حتى أصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من ربه».^(٢) وهذا من رحمة الله وكرمه رغم أن الإسلام يرفض أن تشغله الدنيا العبد عن طاعة الله، وأن تصبح ميدانًا للصراع والتنافس بحيث تثور الأحقاد ويصبح هم الناس التكالب على الدنيا والتصارع على متعها.

أما ما يصيب العبد من نسيان الآخرة حال ملابسته للدنيا فذلك أمر لا يمكن أن يتخلص منه الإنسان. وقد عانى في هذه الحال حنظلة الأسدى أحد كتاب الوحي قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم، فذكر الجنة والنار حتى كأنا رأي العين. فقمت إلى أهلي وولدي فضحتك ولعبت، فذكرت الذي كنا فيه.

فخرجت فلقيت أبي بكر. فقلت: نافتني يا أبي بكر! فقال: وما ذاك؟ قلت: نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرنا الجنة والنار وكأنا رأي العين فإذا خرجنا من عنده عافستنا الأزواج والأولاد والضياعات ونسينا. فقال أبو بكر رضي الله عنه: إنا لنفعل ذلك.

فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فقال: «يا حنظلة لو كنتم عند أهليكم كما تكونون عندي لصاحتكم الملائكة على فرشكم وفي الطريق. يا حنظلة ساعة وساعة».^(٣) فلا بد من استحضار النية فهي روح العبادة. ولقد قال الله تعالى: «وَمَا

(١) إحياء علوم الدين، ٤٠٩/٣.

(٢) صحیح سنن النسائي، ١٦٨٥.

(٣) الحديث أخرجه مسلم والترمذى، مقاصد المكلفين، ٣٩٥.

أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ^(١).

ولا مجال للرياء فيها، لأنها من الأعمال الباطنة.

فالتكليف بتوجيه العبد نيته إلى الإخلاص وقصد الله دون سواه يكون باكتساب الأسباب التي تؤدي إلى ذلك. بأن يتعرف على الله ويتملى في بديع صنعه وعظيم نعمه. ويتعرف إلى صفاته، وينظر في عظيم ثواب الطائع وعظيم عقوبة العاصي، وينظر في الفوائد التي تعود عليه من الطاعات في الدنيا والآخرة. فعند ذلك تبعث النفس إلى العمل بطاعة الله صادقة مخلصة.

وإذا كان الغالب على العبد أمر الدين وامتلاً قلبه بحب الله وخوفه ورجائه، سهل عليه استحضار النية لأن القلب مائل إلى الخير باستمرار. أما الذي يميل قلبه إلى الدنيا دائمًا فإنه يصعب عليه الإخلاص). ^(٢)

فلنعقد العزم على عمل الصالحات، ولنتصم على ذلك ابتغاء وجه الله وحده لا شريك له ولتأسی بالصحابة رضوان الله عليهم فلقد كانوا يحتسبون أعمالهم لله سبحانه، ويتهدون صحتها باستمرار:

فَلَقِدْ قَالَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ لِمَعاذَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) وَهُما بِالْيَمِنِ: إِنِّي أَحْتَسِبُ قَوْمِي وَنَوْمِي لِأَنَّهَا تَعِنَّ عَلَى الْعِبَادَةِ».

هذا جيل الصحابة الكرام، فماذا عنا نحن؟

لا بد أن نسير على خطاهم وندعوا كدعاء عمر:

«اللَّهُمَّ اجْعَلْ عَمَلِي صَالِحًا وَاجْعَلْ لَوْجَهِكَ خَالِصًا وَلَا تَجْعَلْ لَأَحَدٍ فِيهِ شَيْئًا». ^(٣)

١) الآية ٥ من سورة البينة.

٢) مقاصد المكفيين، ٤١، للأشر، ط٢٠، ١٩٩٠م، نشر دار النفائس ومكتبة الفلاح.

٣) التواري ٢١٤/١٠ لابن تيمية، نشر مكتبة المعرف، الرباط.

(٣)

هل المشقة مقصودة في التكليف؟

مقوله نسمعها كثيراً: «الثواب على قدر المشقة»..

يقول ابن تيمية رحمه الله: هذا القول ليس بمستقيم على الإطلاق. كما قد يستدل به طوائف على أنواع من الرهبانيات والعبادات المبتدةعة التي لم يشرعها الله ورسوله، من جنس تحريرات المشركين وغيرهم ما أحل الله من الطبيات. ومثل التعمق والتنطع الذي ذمه النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: «هلك المتطهرون» وأما قول: الأجر على قدر الطاعة، فقد تكون الطاعة لله ورسوله في عمل ميسر كما يسر الله على أهل الإسلام الكلمتين وهو أفضل الأعمال. ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم:

«كلماتان خفيتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيتان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»...^(١)

وقد يكون العمل الفاضل شاقاً، ففضلة لمعنى غير مشقة. والصبر عليه مع المشقة يزيد ثوابه وأجره فيزداد الثواب بالمشقة. كما أن من كان بعده عن البيت في الحج والعمرمة يكون أجره أعظم من القريب. كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها في العمرة: «أجرك على قدر نصبك».

لأن الأجر على قدر العمل في بعد المسافة. وبالبعد يكثر النصب في أكثر الأجر. وكذلك الجهاد.

وقوله صلى الله عليه وسلم: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة. والذي يقرأه ويتعنت فيه وهو عليه شاق له أجران».

(١) أخرجه البخاري ومسلم.

وكثيراً ما يكثر الثواب على قدر المشقة والتعب، لأن التعب والمشقة مقصودان من العمل، ولكن لأن العمل يستلزم المشقة والتعب. هذا في شرعنا الذي رفعت عنا فيه الآصار والأغلال. ولم يجعل علينا فيه حرج، ولا أريد بنا فيه العسر. (١)

وقال الإمام العز بن عبد السلام: إذا اتحد الفعلان في الشرف. وكان أحدهما شاقاً، فقد استويا في أجراهما لتساويهما في جميع الوظائف. وانفرد أحدهما بتفرد المشقة لأجل الله سبحانه وتعالى، فأثيب على تحمل المشقة لا على عين المشاق. إذ لا يصح التقرب بالمشاق. لأن القرب كلها تعظيم للرب سبحانه وتعالى وليس عين المشاق تعظيماً ولا توقيراً.

إذا باشر الإنسان عملاً وترتب عليه مشقة غير مقصودة، أو لم تكن له إلا وسيلة واحدة إلى ذلك المقصود، فإن الله تعالى بفضله وكرمه لا يحرمه من الأجر والثواب بسبب تلك المشقة الحاصلة تبعاً بغير قصده و اختياره. مثال ذلك: ألا يكون له إلى المسجد أو مشاعر الحج إلا طريق واحد شاق وعر فمشي فيه. فالأجر ثابت له فضلاً وكرماً.

قال تعالى: **﴿فَذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يَصِيهِمْ ظُلْمًا وَلَا نَصْبٌ وَلَا مُخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْشُونَ مَوْطِئًا يَغْيِظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنْلَوْنَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلًا إِلَّا كَتَبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾**. (٢) نظير ذلك ما يكفر عن العبد من خطایاه بسبب المصائب التي تقع عليه وليس له اختيار في وقوعها. كما قال عليه الصلاة والسلام: «ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا حزن حتى **الْهُمَّ يَهْمِه إِلَّا كَفَرَ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ»**. (٣)

(١) ينظر الفتاوى لابن تيمية رحمه الله، ٦٢٢-٦٢٠/١٠.

(٢) سورة التوبة، الآية ١٢٠.

(٣) الحديث أخرجه مسلم في الصلاة، ينظر قواعد الرسائل في الشريعة الإسلامية، ١٥٠.

فسبحان من جعل هذا الدين ميسراً فطرياً. وسبحان الله الذي لم يجعل علينا في الدين من حرج، ولم يكلفنا مالا يطاق. لما في ذلك من قهر للنفس ومجافاة للاعتدال:

فقد دخل الرسول صلى الله عليه وسلم عند أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وعندما أمرها فقال: من هذه؟

قالت: فلانة، تذكر من صلاتها. قال: مه! عليكم بما تطيقون. فوالله لا يمل الله حتى تملوا. فكان أحب الدين إليه ما دام عليه صاحبه.^(١)

ولو قيل إن التكليف على قدر الطاقة لكان ذلك القول سليماً. لأن السقيم ليس كالصحيح في التكليف.

وقد اتفق المسلمون على أن المصلبي إذا عجز عن أداء بعض واجبات الصلاة كالقيام أو القراءة أو الركوع أو السجود أو ستر العورة أو استقبال القبلة أو غير ذلك، سقط ما عجز عنه.

وإنما يجب عليه ما إذا أراد فعله إرادة جازمة أمكنه ذلك...

بل متى كان العبد قادرًا على الفعل مع ضرر يلحقه جعل كالعجز في مواضع كثيرة من الشريعة، كالتطهير بالماء والصيام في المرض، والقيام في الصلاة تحقيقاً لقوله تعالى ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾.^(٢)

ومن القواعد الأصولية:

«المشقة تجلب التيسير». وكذلك أن «الأمر إذا ضاق اتسع» فالقصد في الطاعات المصلحة للمكلف لا المشقة له. وذلك ليؤدي الطاعة في انتشار صدر ونشاط نفس. (وليس للمكلف أن يقصد المشقة نظراً إلى عظيم أجراها. وله أن

١) آخرجه الإمام البخاري في كتاب الإيمان.

٢) مجمع خواص شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ٤٣٩-٤٣٨/٨، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب.

يقصد العمل الذي يعظم أجره لعظم مشقته من حيث هو عمل.^(١)
فالله سبحانه وتعالى لا يريد الإعنات والمشقة. فقد جاء في الحديث
الصحيح:

«إن هذا الدين متين فأوغلو فيه برفق».^(٢)
فكمما أن من مداخل الشيطان الإهمال، فمن مداخله أيضاً الغلو فلنحضر من
نزغات الشيطان، ولنصف النفوس من تلك الوساوس الشيطانية. وقد قال بعض
السلف: ما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان إما إلى تفريط وإما إلى مجاوزة
وهي الإفراط، ولا يالي بأيتها ظفر زيادة أو نقص.^(٣)

أما ما نجده من تعمد المشقة وقصدها، ظناً أن في ذلك تكثيراً للحسنات، فهو
من تأثير النصرانية المحرفة وما فيها من رهبانية وفصل الدين عن الحياة. أما الإسلام
فسنانه الدعوة للاقتصاد في العبادة، لأن ذلك أدعى للإقبال على العبادة بنشاط.
عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل فإذا حبل مددود
بين الساريتين. فقال: ما هذا الحبل؟

قالوا: هذا حبل زينب فإذا فترت تعلقت به. فقال:
«لا، حلوه. فليصل أحدكم نشاطه. فإذا كسل أو فتر فليقعد».^(٤)
فالقصد هو الطاعة والامتثال لأمر الله، وفي ذلك مصلحة للمكلف لا
المشقة له.

١) المواقف للشاطبي، ٨٦/٢.

٢) أعرجه الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه، والحديث قال عنه الألباني حسن، ينظر صحيح الجامع الصغير، ٤٤٧/١.

٣) تهذيب ملتوح السالكين، ٣٣٣ كتبه ابن القيم وعلمه عبد الناصر العزي/١٤١٢ـ، نشر مكتبة السوادي، جملة.

٤) أعرجه الإمام مسلم.

(٤) تركيية النفس

«إن الله يحب معالي الأمور وأشرفها ويكره سفافها». ^(١) كما ذكر المصطفى صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح. لكن علاج النفوس وتركيتها أصعب من علاج الأبدان. ليصلح به المرء من قلبه ما مزقه يد الغفلة أو شعثته يد الإضاعة والتفريط أو قيده يد الشهوات والأهواء.

فيجاهد المرء نفسه ليسد مداخل الشيطان ما استطاع. ويقلع عن لذات الدنيا وشهواتها، ويجد للتزود لما بعد الموت. ومن زكي نفسه بالرياضة والمجاهدة التي لم يجيء بها الرسل فهو كالمريض الذي يعالج نفسه برأيه، وأين يقع رأيه من معرفة الطبيب؟!

أما «سعاد» فقد تكرر منها سوء تصرفاتها، وإزاء كلماتها القاسية، أتبها زوجها وأغاظط لها القول. وعندما اشتكت لأمها، قاطعتها أمها قائلة: إني أعلم ما قلت له!

لقد قلت: ماذا أفعل؟ إني عصبية المزاج سريعة الإنفعال.. وهكذا خلقت! تقبّلت «سعاد» هذا الكلام بصدر رحب وقالت:

- فعلاً يا أمي، لقد وضعت يدك على الجرح!

أما الأم فكان منها الدروس الوعي لابتها:

(لو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير لم يكن للمواعظ والوصايا معنى. وكيف تنكر تغيير الأخلاق ونحن نرى الصيد الوحشي يستأنس، والكلب يعلم ترك الأكل، والفرس تعلم حسن المشي وجودة الانقياد. إلا أن بعض الطياع سريعة

١) ينظر صحيح الم Bauer الصغير، ٣٨٤/١، والمحدث صحيح كما ذكر الألباني، رحمه الله.

القبول للصلاح، وبعضها مستعصية).^(١)

فلا بد لتعديل عاداتنا من الصبر والتدرج فيها. إذ من الصعب التخلص عنها فجأة. مع الأخذ بالاعتبار أن نمو النفس وتركيتها مثل نمو البدن لن يظهر الأثر في الحال، بل يظهر رويداً رويداً.

وكما أن الأخلاق لم تتجزء بين عشية وضحاها، كذلك التغيير... فيجب الصبر وعدم العجلة.

ففقد كان ابن المنكدر (رضي الله عنه) وهو الذي كان يسميه الإمام مالك - رحمة الله - سيد القراء.. كان يقول عن نفسه:

ـ «جاهدت نفسي أربعين سنة حتى استقامت». ^(٢)

نسأل الله تعالى أن تستقيم نفوسنا، وأن يهدينا سبيل الرشاد لنكون من الذين قال الله تعالى فيهم: «وَالَّذِينَ جاهدوا فِيمَا نَهَا هُنَّ مُهَمَّةٌ».

فالخلص من العادات القديمة وإن لم يكن سهلاً، لكنه ليس متعدراً على ذات العقيدة السليمة، والعقل الذي يعقلها عن القبائح.

فمن اعتادت مشاهدة التلفزيون لساعات طويلة (مثل...)

فترك مشاهدة الإعلانات أولاً - ومن ثم ترك عادة الإفراط في المشاهدة بأن تحدد الساعات والبرامج التي تتبعها...

وهكذا رويداً رويداً يتقلص إهدار الوقت، والتعامل الحرم مع ذلك الجهاز.

والله تعالى لم يكلفنا ما لا نطيق:

(فَالْأُوْصَافُ الَّتِي طَبَعَ عَلَيْهَا الْإِنْسَانُ كَالشَّهْوَةُ إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، لَا يَطْلُبُ رَفْعَهَا وَلَا إِزَالَةَ مَا غَرَزَ فِي الْجَبَلَةِ مِنْهَا، فَإِنَّهُ مِنْ تَكْلِيفِ مَا لَا يَطْلَقُ...)

١) مختصر منهاج القاصدين، ١٥٢.

٢) سير أعلام النبلاء، ٥/٢٠٥. ولد شيخ الإسلام ابن المنكدر، سنة ٣٧٧هـ، وكان من فرط خشيته لله لا يجمالك من البكاء إذا قرأ الحديث الرسول صلى الله عليه وسلم.

ومثل هذا لا يقصد الشارع طلباً له ولا نهياً عنه. ولكن يطلب قهر النفس عن الجنوح إلى ما لا يحل وإرسالها بمقدار الاعتدال فيما يحل).^(١) ذلك أن الذنوب مثل السموات - كما ذكر ابن القيم رحمة الله - فإن تداركها المرء من سقى بالأدوية المقاومة لها، وإنما قهرت القوة الإيمانية وكان الهلاك. وقد قال بعض السلف: العاصي يريد الكفر.^(٢)

نعود بالله من الخذلان، وأعانتنا على الطاعات التي بها بعد توفيق الله يصان الإيمان ويزيد.

ولعل نقطة البداية لتزكية نفوسها، الحاسبة الذاتية، فإنها مدعوة إلى تنشيط الذات لتقسيم أعمالنا ومعالجة أخطائنا: ورضي الله عن عمر بن الخطاب إذ قال:

حاسبوا أنفسكم قبل أن تخاسبوا.

(الكثير منا لديه نقاط قوة ولكن لا يستفيد منها حق الاستفادة، أو لا يوظفها التوظيف الأمثل. كما أن لديه الكثير من نقاط الضعف التي تعرقل مساعيه لتحقيق أهدافه، وتتشل فاعليته الشخصية.

إن رحلة التغيير الإيجابي في الحياة تبدأ بالتعرف على النفس. وبعد التعرف على النفس يأتي تطويقها وقيادتها وسياستها وتوجيهها لما فيه الخير والصلاح).^(٣)

فمن كانت سريعة الغضب، وبعد أن حاسبت نفسها ودققت النظر في مزاياها وفي سلبياتها، أيقنت أنها لا تحسن التعامل مع الآخرين فبدأت تروض نفسها على ضبط النفس:

وبالصبر والعزم تصل إلى بغيتها بإذن الله، ولا سيما إذا اتبعت الطريقة

١) المواقف للإمام الشاطئي، ٧٢/٢.

٢) تمهيد مدارج السالكين، ٢٤.

٣) العادات المشر لشخصية الناجحة، ١٦٧، د: إبراهيم بن حمد القعيد، دار المعرفة للتنمية البشرية، ط٢، ١٤٢٢هـ، الرياض.

المشروعة في ذلك، وعالجت الغضب بالصمت وضبط النفس، وبالجلوس إن كانت واقفة، وبالوضوء والاستعاذه من الشيطان، وبتكلف الحلم يكتسب الخلق الحسن، فإنما الحلم بالتحلم.

ولا يفوتها المحاسبة والتساؤل بين الفينة والأخرى: ما السبيل لأصبح أكثر رفقاً ولباونة؟

كيف أتعامل مع صديقاتي المؤمنات حتى لا أخسر صحبتهن؟! وببعضاء في العزيمة، مع العقيدة السليمة تحول العادة السيئة إلى عادة حسنة تناسب مع قيم الإسلام السامية.

- ومن وجدت نفسها بعيدة عن الإلتزام الحق، فلتفكر مليأً لتعرف هويتها وتكافع الذنوب وتتinxذ الأسباب للعمل الصالح.

وحيث سبرت أغوار نفسها، علمت أن السبب في عدم وضوح الرؤية هو صحبة شريرة بما تجلبه لها من أشرطة ماجنة أو صور مشيرة... قاطعت هذه الصحابة، وتلطفت في تركها، خشية المقالب التي من الممكن أن تعملها من حبك للمؤامرات، أو إلحاق الأذى بسمعتها، وما صممت أن لا تتمادي في الخطأ، وأن تجد لها العون الذي يساندها ويعضدها، وطدت صلتها بالصالحتين. لأنها تعلم أن المرء على دين خليله.

وما صاحبة السوء إلا عدوة. ولن يركن لعدوه إلا الأحمق.

- ومن ألفت نفسها الكسل وأهملت الأعمال المجادلة والتافية وترى تغيير ذلك، فإنه يمكّنها أن تروض نفسها ليصبح أنها ولذتها في الجد والعمل والنشاط. وليس ذلك بالأمر العسير فإذا كان لاعب الكرة وبطل الجري يتدرّب ويواصل التدريب، وهو راضٍ ليحصل القوة التي تساعده، أولى بالبعد عن الكسل، وتدرّبها على كل أمر جاد.

ولا ينكر تسامي الغرائز والميول والاهتمامات إلا جاهل. فقد تصبح غريزة الغضب من أجل العقيدة.

وقد تصبح غريزة الجماع لإنفاق المال في سبيل الله بدل التفاخر.
وهكذا تعالج نقاط الضعف واحدة فواحدة حتى نبرا منها.

المهم أن تجاهد المرأة نفسها حتى يسلس قيادها لأن الله لا يغير ما بقوم
حتى يغيروا ما بأنفسهم وتحاسب نفسها قبل أن تخاسب. الأمر الذي يجعلها
تطلع على عيب نفسها فتصلحه دون أن تختلق الأعذار لنفسها، وتعلل
بالأوهام.

وهكذا تصبح في تربية مستمرة لذاتها، وتطوير سلوكياتها، لتغدو منقادة لأمر
الله، خاضعة له، تلوذ به، ولا يعني وجهها إلا للحي القيوم وحده لا شريك له.

وتكتسب الأخلاق الجميلة بالرياضة (كما ذكر الغزالى) وهي تكلف
الأفعال الصادرة عنها ابتداء لتصير طبعاً انتهاء. وهذا من عجيب العلاقة بين
القلب والجوارح -أي النفس والبدن- فإن كل صفة تظهر في القلب يفيض أثراها
على الجوارح حتى لا تتحرك إلا وفقها لا محالة. وكل فعل يجري على الجوارح
فإنه قد يرتفع منه أثر على القلب.^(١)

فالتركى والطاعة لله ترقى النفوس، وتسمو القلوب والأرواح.

فلتسأل كل واحدة منا نفسها: هل أنا جاهزة لتغيير عاداتي نحو الأفضل؟

وهل أنا مستعدة للدؤام على العمل الصالح وتأدية واجبي كمسلمة؟!

فإن كان الرد بالإيجاب فيها ونعمت، وإلا فالبدار البدار قبل فوات الأوان...

ولتبق هذه طريقنا نحو تزكية أنفسنا لتنال وعد الله تعالى بالفلاح إذ قال جل
من قائل **هـ قد أفلح من زـ كـاهـهـ** وتبقى تربتنا للذات مستمرة طيلة الحياة حتى
نلقى الله وهو عنا راض:

ولقد جاء في الحديث الصحيح:

إـنـ الرـجـلـ لـيـعـمـلـ عـمـلـ الجـنـةـ فـيـمـاـ يـبـدـوـ لـلـسـانـ وـهـوـ مـنـ أـهـلـ النـارـ. وإن

(١) إحياء علوم الدين للإمام الغزالى، ٢/٣، ٩٦، ١٤١٢هـ، دار الحديث، القاهرة.

الرجل ليعمل عمل النار فيما يedo للناس وهو من أهل الجنة» والحديث متفق على صحته وزاد البخاري: وإنما الأعمال بخواتيمها.^(١)

وهذا ما يؤكده حديث آخر عن المصطفى عليه الصلوة والسلام:
إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَ خَيْرًا عَسْلَهُ . قَالُوا: وَمَا عَسْلَهُ؟ قَالَ: يُوفِّقُهُ لِعَمَلِ صَالِحٍ
ثُمَّ يَقْبضُهُ إِلَيْهِ^(٢).

فما أسعد من يوفقه الله لذلك!

علينا أن نعقد العزم للتزود لما بعد الموت فنفلع عن لذات الدنيا وشهواتها. ولا تكون أسرى للذات.

وعند كل عمل لا بد أن نفك في قيمته من الناحية الشرعية. فنضبط أقوالنا وأعمالنا بالميزان الشرعي.

وإن شئنا أن نكيف حياتنا مع متغيرات الحياة، فلا تساهل بحال في المحرمات. بل نتمسك بالثوابت.

فنصبح أمن عقيدة، وأكثر التزاماً بأمر الله وبعداً عن مناهيه وأكثر واقعية، وأكثر إيجابية. وشعوراً بالرضى والسعادة بعيداً عن النظرة القاصرة من الشعور بالدونية واحتقار الذات.

وتغدو كل واحدة منا صالحة مصلحة، تسعى لإعطاء كل ذي حق حقه. فتركتبة النفس من الأولويات. فقد قال تعالى ﴿هُنَّ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقدِّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ ولم يذكر واقفاً.

نسأل الله مقلب القلوب أن يختم بالصالحات أعمالنا. وأن يوفقنا للزاد الذي يهيننا للقاء الله تعالى وهو عنا راضٍ إنه سميع مجيب.

(١) صحيح الجامع الصغير، ٣٣٥/١، والحديث عن سهل بن سعد.

(٢) أخرجه الإمام أحمد والطبراني، وقال الألباني حديث صحيح، ينظر صحيح الجامع الصغير، ١١٧/١.

الفصل الثاني الأولويات في ميزان الأصوليين والإداريين

المبحث الأول: الأولويات في ميزان الأصوليين:

- ١- معنى الأولويات.
- ٢- مقاصد الشريعة.
- ٣- التمسك بالثوابت من الأولويات.
- ٤- فقه الموازنات.
- ٥- بعض القواعد الأصولية في الأولويات.

المبحث الثاني: الأولويات في ميزان الإداريين والتربيين:

- ١- عملية ترتيب الأولويات.
- ٢- وضع الأهداف ضرورة لا بد منها.
- ٣- أهمية التخطيط في الوصول للهدف.
- ٤- خصائص الناس الذين يعيشون وفق المبادئ.

المبحث الأول الأولويات في ميزان الأصوليين

١) معنى الأولويات:

الأولويات وضع كل شيء في مرتبته، فلا يُؤخر ما حقه التقدم أو يقدم ما حقه التأخير، ولا يصغر الأمر الكبير، ولا يكبر الأمر الصغير، وهذا ما تقتضي به قوانين الكون، وما تأمر به أحكام الشرع.^(١)

(إنها تعني الأمور الهامة والضرورية التي قد لا تكون عاجلة، بل تم التخطيط بهذه وروية لإنجازها حسب أهداف وبرنامج واضح).^(٢)
وفي القرآن الكريم والسنّة الشريفة نجد الألفاظ التي تشير إلى الأفضلية والخيرية والأحسن والأكمل...

والعادل من يحسن التوفيق بين الفضائل، وإن تجاذبته الأهواء فإنه لا يعمل بعضها لفترة ثم يولي وجهه تاركاً لها جميعاً

أما وأن الفوضوية قد لاحقت المجتمع عامة، والمرأة كذلك لاحقتها في كل جزء من حياتها، فإن هنا معرفة السبيل للتخلّي عن تلك الخصلة الشوهاء... وإلا ورثتها الأجيال، ومن ثم جذبها نحو الحضيض، وعانت من مغبّتها الأمة بأسرها.
وما علينا إلا العمل بجدية، والأخذ بالأسباب وعدم تركها بحجة التوكّل.
فلنعقد العزم، ولنبتعد عن العشوائية، ولنحدد أهدافنا: ماذا نحب أن تكون؟! أمن الصالحات القاتلات المحسنات؟!

١) أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة: ص ٣٤، تأليف: د. يوسف القرضاوي، ط ١٤١٢ هـ، مكتبة وهبة، القاهرة.

٢) المدادات العشر للشخصية الناجمة، ص ١٨٠، د. إبراهيم بن حمد القعيدي، دار المعرفة للتنمية البشرية، ط ١٤٢٢ هـ.

عندما نجعل أولوياتنا ما يفيد، ونخاطرنا تصبح في رضى الرحمن، فلا تستبعدنا خطوط الموضة، ولا تصبح النحافة وحب التجمل في أولوياتنا، ولن نذهب وقتنا في ذلك وأمثاله من حب المال ومظاهر الدنيا الخادعة من بيوت وحلي وأثاث... .

نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْنِبَنَا مِنْ أَقْرَبِ الشَّيْطَانِ وَأَنْ يَهْدِنَا سَوَاءً السَّبِيلُ.

٢) مقاصد الشريعة:

إن تكاليف الشريعة ترجع إلى حفظ مقاصدها في الخلق، وهذه المقاصد لا تعدد ثلاثة أقسام:

١- أن تكون ضرورية. ٢- حاجة. ٣- الثالث أن تكون تحسينية.

الضرورية: لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت لم تحرر مصالح الدنيا على استقامة بل على فساد وتهاجر وفوت حياة. وفي الأخرى فوت النجاة والتعيم والرجوع بالخسران المبين... .

والضروريات خمسة:

حفظ الدين والنفس والعرض والعقل وهي مراعاة في كل ملة.

وال حاجيات: معناها أنها مفتقر إليها من حيث التوسيع ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الخرج والمشقة اللاحقة بفوت المطلوب... .

وهي في العبادات كالرخص، وفي العادات كإباحة الصيد والتمنع بالطبيات مما هو حلال.

والتحسينيات: الأخذ بما يليق من محسن العادات وتجنب الأحوال المنسنة التي تألف العقول الراجحات، ويجمع ذلك قسم مكارم الأخلاق... وفي العبادات كإزالة التجasseة وستر العورة والتقرب بنوافل الحيرات من الصدقات... .

وفي العادات كآداب الأكل والشرب....^(١)
للضروريات أولوية عن غيرها - يجب مراعاتها - إلا إذا كانت تؤدي إلى
الإخلال بضروري أهم منه.
ولا نقول ضرورة كلما راق لها ذلك. بل ننظر إلى الأمور بشمولية تقية، لا
بسطحية تتبع الهوى:

«ومن أتقى الشبهات فقد استبرأ لدینه وعرضه»^(٢)
وحيث أن من طبيعة المرأة رقة الشعور وسرعة التأثر، فواجهنا نحن النساء أن
نتحرر جهدنا من مداخل الهوى والحظوظ العاجلة، فقد حذرنا الصادق الأمين
بقوله:
«يا معشر النساء! تصدقن ولو من حليكن فإنكن أكثر أهل جهنم يوم
القيمة».^(٣)

ولنجعل لأفعالنا سورةً واقياً يحدده الشرع. فالحلال ما أحله الله ورسوله.
والحرام ما حرم الله ورسوله. أما ما ليس فيه نص فالأمر فيه متسع.
ومباح: هو الخير فيه بين الفعل والترك من غير مدح ولا ذم، لا على الفعل
ولا على الترك.^(٤)
وتناول المباح لا يصح أن يكون صاحبه محاسبأ عليه بإطلاق، وإنما يحاسب
على التقصير في الشكر عليه.^(٥)
أما إذا كان المباح ذريعة إلى منوع، فصار منوعاً من باب سد الذرائع لا من

(١) المواقف للشاطبي، جـ٢، ص٣-٥، وينظر أيضاً مقاصد الشريعة للحمادي العبدلي، ص١٧٣، وقواعد
الوسائل، ص١٨٦.

(٢) متفق على صحة.

(٣) رواه الإمام أحمد والترمذى وغيرهما عن زينب امرأة ابن مسعود، والحديث صحيح كما ذكر الألباني.

(٤-٥) المواقف ص٦٨-٧٤.

باب كونه مباحاً.

وعلى هذا يتنزل قول من قال: «كنا ندع ما لا يأس به حذراً لما به البأس». وروي مرفوعاً.

وكذلك ما جاء من هذا الباب في ذم الدنيا، إنما هو لأجل أنها تصير ذريعة إلى تعطيل التكاليف. وأيضاً فقد يتعلق بالمحاج في سوابقه أو لواحقه أو قرائته مما يصير به غير مباح، وذلك كالمال إذا لم تؤد زكاته.^(١)

فالحياة ليست كما يظن البعض: أسواق وفسح ومدينة ألعاب، كما أنها ليست سعياً ولهااناً وراء المتع الفانية بحججة إباحة الترور عن النفس... إنها عبادة لله سبحانه وتعالى، وأداء لحقوقه جل شأنه، ولحقوق العباد. كما أنها ليست تضييقاً على المرء بحرمانه من المباحثات:

«كثير من الناس يجعل كثيراً مما عليه من الحق من قسم ماله فيتخير بين فعله وتركه. وإن فعله رأى أنه فضل قام به لاحق أداه. ويزاء هؤلاء من يرى كثيراً مما له فعله وتركه من قسم ما عليه فعله وتركه فيتبعد بترك ماله فعله، كترك كثير من المباحثات ويظن ذلك حفلاً عليه، كمن يتبعد بترك النكاح، أو أكل اللحم أو الفاكهة مثلاً، أو الطيبات من الطعام والملابس، ويرى لجهله أن ذلك مما عليه، فيوجب على نفسه تركه، أو يرى تركه من أفضل القرب وأجل الطاعات. وقد أنكر النبي صلى الله عليه وسلم على من ذم ذلك، ففي الصحيح أن نفراً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سأלו عن عبادته في السر فكانهم تقالواها. فقال أحدهم: أما أنا فلا أكل اللحم. وقال الآخر: أما أنا فلا أنزوج النساء. وقال الآخر: أما أنا فلا أنام على فراش. فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم مقالتهم، فخطب وقال: «ولكني أنزوج النساء وأكل اللحم وأنام وأقوم وأصوم وأفطر

(١) المواقف للشاطبي . ٧١

فمن رغب عن ستي فليس مني».

فتبرأ من رغب عن سنته، وتبعد لله بترك ما أباحه لعباده من الطيبات رغبة عنه واعتقاداً أن الرغبة عنه وهجره عبادة.^(١)

أما الإسراف في المباح سواء في الكمية أو النوعية ف يجعله يقرب من الحرام. لذا يجب التمييز الواعي بين ما هو ضروري مباح وبين ما هو كمالٍ قد يقرب من الحرام. • لقد احتمم النقاش بين الزوجين، وازداد التوتر إلى حد الأزمة في الأسرة... لكن لماذا؟!

كان الأطفال يلعبون بمرح وحبور، علت أصواتهم فانتزع الزوج منهم ونبه زوجته قائلاً: أما آن لهم أن يهدأوا...

ساعدت الزوجة في تهدئتهم... وبيت القصيدة أن كل الزوجين يريد مشاهدة التلفزيون: فالزوج يريد متابعة مباراة كرة القدم. والزوجة تريد معرفة الأخبار وكان الخلاف المر.

أما إنه لو طبقت الأولويات لما شعر الناس بالضيق وشغل الذهن بأمور صغيرة تافهة.

• أما (وداد) فقد أصبحت حياتها على شفا الطلاق. وهي مصرة على أنها لا تعمل إلا المباح!

كانت (وداد) تبالغ في حب النوم، حتى إذا صحت فكرت متى ننام؟! وفشت العدوى فعمت اللامبالاة جميع أفراد الأسرة. فابتلاها الأكبر أضحي تحصيله الدراسي شيئاً، فهو يهمل حتى إذا كانت ليلة الامتحان هرع إلى دفاتر زملائه يستعيرها، وفي غرفة الامتحان يستجدي المعلومات من حوله... وغير ذلك من نتائج الإهمال والتي اقتنسها الأولاد بالقدوة.

١) تهذيب المalarج ١١٧-١١٨.

ضاق الأب ذرعاً بالوضع... حتى صحت المرأة من غفوتها وبدأت تنظم وقت استيقاظها، وجعلته في اليوم الأول مبكراً ربع ساعة، ثم نصف ساعة وهكذا... رويداً رويداً، انضبط موعد الاستيقاظ، وأحسنت في استثمار الوقت لتكون القدوة لأبنائها في ذلك.

• وفي ظل التصحر في العلاقات، حتى العلاقات الأسرية فإننا نجد كثرة المشاكل والتي سببها السخافات في التعامل مع المباحثات! كأن يختلف الزوجان مثلاً في لون الأثاث، والنظرة الوعائية ترى أنه اختلاف في أمر مباح وهنا يحسن الاحتساب وترك الجدل للفوز بوعد الرسول صلى الله عليه وسلم: «أنا زعيم بيته في ريض الجنة من ترك المرأة ولو كان محقاً». (١)

• العمل الواحد في ميزان الشرع يختلف حسب حال المكلف وحسب نيته: وقد قال ابن القيم -رحمه الله- (وها هنا أمر يجب التفطن إليه، وهو أنه قد يكون العمل المعين أفضل منه في حق غيره.

فالغنى الذي بلغ له مال كثير ونفسه لا تسمح ببذل شيء منه، فصدقه وإيشه أفضل له من قيام الليل وصيام النهار نافلة.

والشجاع الشديد الذي يهاب العدو سطوطه، فوقوفه في الصيف ساعة وجهاده بأداء الله، أفضل من الحج والصوم والصدقة والتطوع. والعالم الذي قد عرف السنة والحلال والحرام وطريق الخير والشر، فمخالطته للناس وتعليمهم ونصحهم في دينهم أفضل من اعتزale وتفریغ وقته للصلوة وقراءة القرآن والتسبیح.

ولي الأمر الذي قد نصبه الله للحكم بين عباده، جلوسه ساعة للنظر في

(١) حديث حسن كما قال الألباني: صحيح الجامع الصغير، ج ١/٣٠٦

المظالم وإنصاف المظلوم من الطالم وإقامة الحدود ونصر الحق وقمع البطل، أفضل من عبادة سنين من غيره.

ومن غلت عليه شهوة النساء، فصومه له أفعى من ذكر غيره وصدقته).^(١)
وقد دعا عليه السلام لأنس «رضي الله عنه» بكثرة المال، فبورك له به.. وقال لشعبة بن حاطب «رضي الله عنه» حين سأله الدعاء له بكثرة المال:
- «قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه».

وقال لأبي ذر «رضي الله عنه»: «يا أبا ذر إني أراك ضعيفاً وإنني أحب لك ما أحب لنفسي. لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم».

ومعلوم أن كلا العاملين من أفضل الأعمال لمن قام فيه بحق الله.
وقد قال عليه الصلاة والسلام، في الإمارة والحكم: «إن المقطفين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن».

وقال أيضاً: «أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة».

ثم نهاد عنها لما علم له خصوصية في ذلك من الصلاح).^(٢)
فاختار الحكم باختلاف الأحوال.

(ولا ريب أن ما فيه ضرر في الدنيا مذموم إذا لم يكن نافعاً في الآخرة، كإضاعة المال والعبادات الشاقة التي لم يأمر الله بها ولا رسوله.

وما فيه منفعة في الدنيا مذموم، إذا كان ضاراً في الآخرة، كنيل المللذات والشهوات المباحة، إذا حصل للعبد بها وهنا وتأخيراً في أمر الآخرة وطلبها.
وما كان مضرأ في الدنيا والآخرة فهو شر وشدة..

وما كان نافعاً في الآخرة فهو محمود، وإن كان ضاراً في الدنيا، كإذهاب

١) عدة الصابرين، ٩٣، من كتاب كيف أخدم الإسلام، ٦٢.

٢) النبات والشمول في الشريعة الإسلامية، ص ٢١٧، د. عابد السفياني، ط ١٤٠٨ هـ، مكتبة المغاربة، مكة المكرمة.

النفوس والأموال في الجهاد في سبيل الله.

وكذلك مالم يكن ضاراً في الدنيا مثل كثير من العبادات.

وما كان نافعاً في الدنيا والآخرة فهو محمود أيضاً).^(١)

(بل إن الفعل الواحد في الظاهر يثاب الإنسان على فعله مع النية الصالحة،

ويعاقب على فعله مع النية الفاسدة:

فمن ترك جميل الثياب بخلاً بالمال لم يكن له أجر. ومن تركه متبعداً بتحريم

المباحثات كان آثماً. ومن لبس جميل الثياب إظهاراً لنعمة الله واستعانته على طاعة

الله كان مأجوراً. ومن لبسه فخرًا وخلياء كان آثماً فإن الله لا يحب كل مختال

فخور).^(٢)

والمرأة الصالحة تعتني بظهورها أمام المؤمنات، وأمام محارمها وبالحد الشرعي،

ليكون لباسها نظيفاً أنيقاً مرتبأً، من غير إسراف ولا مخيلة. لأن الإسراف في

المباحثات منهي عنه لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يَسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتَرُوا

وَكَانُوا بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامٌ﴾.^(٣)

هذا وإن بعض المباحثات قد يكون مورثاً لبعض الناس أمراً لا يختاره لنفسه

بالنسبة إلى ما هو عليه من الخصال الحميدة، فيترك المباح لما يؤديه إليه: كما جاء

أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لما عذله في ركوب الحمار في سيره إلى

الشام، أöttى بفرس فهم لمح تحته، أخبر أنه أحسن من نفسه فنزل عنه ورجع إلى

حماره.

وكما جاء في حديث الخميصة ذات العلم حين لبسها النبي صلى الله عليه

١) الفتاوى لابن تيمية رحمه الله، ١٤٩/٢٠.

٢) الفتاوى لابن تيمية رحمه الله، ١٣٩/٢٢.

٣) الآية: ٦٧ من سورة الفرقان.

وسلم، فأخبرهم أنه نظر إلى علمها في الصلاة فكاد يفتنه، وهو المعصوم صلى الله عليه وسلم، ولكنه علم أمته كيف يفعلون بالماح إذا أداهم إلى ما يكره. وكذلك قد يكون المباح وسيلة إلى منع فيترك من حيث هو وسيلة كما قيل: إني لأدع بيني وبين الحرام ستة من الحلال ولا أحرمها.

وفي الحديث: «لا يبلغ الرجل درجة المتقين حتى يدع مالا بأس به حذراً لما به البأس».

وهذا بثابة من يعلم أنه إذا مر حاجته على الطريق الفلانية نظر إلى محرم أو تكلم فيما لا يعنيه أو نحوه).^(١)

(ومن زهد فيما يشغله عن الواجبات أو يوقعه في المحرمات فهو من المقتضدين أصحاب اليمين. ومن زهد فيما يشغله عن المستحبات والدرجات فهو من المقربين السابقين).^(٢)

(أما فضول المباح التي لا تعين على الطاعة، فإن عدمها خير من وجودها إذا كان مع عدمها يشتغل بطاعة الله...)

وإن شغلته عن معصية الله كانت رحمة في حقه. وإن كان اشتغاله بطاعة الله خير من هذا وهذا.

وكذلك أفعال الغفلة والشهوة التي يمكن الاستعانة بها على الطاعة كالنوم الذي يقصد به الاستعانة على العبادة، والأكل والشرب والنكاف الذي يمكن الاستعانة به على العبادة، إذا لم يقصد به ذلك كان ذلك نقصاً بالعبد وفوات حسنة وخير يحبه الله تعالى.

ففي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لسعد رضي الله عنه:

٣) المواقف للشاطبي رحمه الله، ١/٧٦.

٤) الفتاوى لابن تيمية رحمه الله، ص ٢٠/١٥١.

«إنك لن تنفق نفقة تستغى بها وجه الله، إلا أزدلت بها درجة ورفة، حتى اللقمة تضعها في في أمرأتك». وقال عليه السلام في الصحيح: نفقة المسلم على أهله يحتسبها صدقة).^(١)

ولقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: «الخيل لثلاثة: هي لرجل أجر. ولرجل شر. وعلى رجل وزر: فاما الذي هي له أجر: فرجل ربطها في سبيل الله فأطالت لها في مرح أو روضة. ورجل ربطها تعفيفاً وستراً وتعففأ ثم لم يتثن حق الله في رقبابها وظهورها فهي له ستر. ورجل ربطها فخرأ ورياء ونواء لأهل الإسلام فهي له وزر».^(٢)

ثم إن المؤاخذة رفعت عن الناسي والمكره والخاطئ كما جاء في الحديث الشريف: عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكروا عليه».^(٣)

ومن المعلوم أن النظر للأجنبي محروم لأنه وسيلة إلى الزنا، لكنه مباح بقصد النكاح لأنه وسيلة إلى مصلحة راجحة، وهي الإلفة بين الزوجين، ودوام ذلك بينهما. كما قال عليه الصلاة والسلام للمغيرة لما خطب امرأة: «انظر إليها فإنه أخرى أن يؤدم بينكم» والحديث رواه النسائي في كتاب النكاح والترمذى وقال حديث حسن).^(٤)

كما أن السهر بعد العشاء منهي عنه لأنه وسيلة إلى تفويت قيام الليل أو صلاة الفجر، فإن عارضته مصلحة راجحة كالسهر للصائم أو مصلحة من

١) الفتاوى ٤٦١/١٠.

٢) متفق عليه.

٣) أخرجه الطبراني: وقال الألباني حديث صحيح ٣٦، ينظر صحيح الجامع الصغير ٦٥٩/١.

٤) قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية ٢٤٨ د. مصطفى بن كرامة الله مخدوم، ط ١٤٢٠ هـ الرياض.

مصالح المسلمين لم ينه عنه).^(١)

● يا أختي المؤمنة: يا من تراقيين الله في حركاتك وسكناتك، وتجهدين نفسك لتكوني من يعبد الله كأنه يراه... إن واجهتك مشكلة فتحرizi لدینك. فالأوزار ثقيلة، والعذاب أليم. وحدار من حياة الغفلة واللامبالاة بحججة اللاهيات والتي أصبحت مكرورة: «أخطاؤنا يغفرها الله».

فلا تساهل في الموبقات، ولا احتيال لاقتناص الملاذات، ولا إسراف في المباحات. فالصادق الأمين عليه الصلاة والسلام قد حذرنا من مغبة ذلك بقوله: «إياكم ومحقرات الذنوب فإنما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد، فجاء ذا بعود، وجاء ذا بعود، حتى حملوا ما أنضجوا به خبزهم. وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه». ^(٢)

٣) التمسك بالثواب من الأولويات:
عند تحديد الأولويات، يجب أن ننظر في الحادثة فنعطي لها حجمها المناسب، وبجعل من الشرع الميزان الدقيق لها.

(فأصل الدين أن الحلال ما أحله الله ورسوله، والحرام ما حرمته الله ورسوله. والدين ما شرعه الله ورسوله. ليس لأحد أن يخرج عن الصراط المستقيم الذي بعث الله به رسوله. قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَبْغُوا السُّبُلَ فَتُفْرَقُ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُ وَصَاعِدُكُمْ بِهِ لَعْلَكُمْ تَتَّقَوْنَ﴾. وفي

٣) المصدر السابق، ص ٣١٤، عن أعلام المؤمنين ١٤٨/٣.

٤) رواه أحمد والطبراني وصححه الألباني، ينظر صحيح الجامع الصغير، ٥٢٣/١.

حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه خط خطأ وخط خطوطاً عن يمينه وشماله. ثم قال: هذه سبيل الله. وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعوك إليه، ثم قرأ:
﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَبْغُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقُ بَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾.^(١)

فعلينا أن نتمسّك بالفرائض، ونبعد عن المحرمات. فالثواب لا مجال للخيار فيها. وعند كل أمر ننظر إليه من جميع الزوايا، ونبذل الجهد للالتزام بالضوابط الشرعية، وذلك بالاعتماد على المصادر الأصلية، بالاتباع لا الابتداع: فإن تقرير أحكام الشرع والكلام في الدين لا يكون إلا بأصل شرعي أو بالبناء عليه. وقد نقل الإمام الشافعي، رحمة الله، الإجماع على أنه ليس لأحد كائناً من كان أن يقول إلا بعلم....

وهذا أمر لا ينبغي لعاقل يحذر على دينه أن يسترب في فيه. وإلا هلك مع الهاكين. وهل ضلت الفرق وأضللت إلا بعد أن تركت هذا الأصل).^(٢) ثم إن شقاء الناس في هذه الدنيا، والعذاب الذي ينتظر أكثرهم في الآخرة مصدره اتباع الأهواء الضالة: والخير والسعادة فيها لا يحصلان إلا باتباع الشريعة وقهـر الهوى الجامح).^(٣)

وفي مجال القدوة: كان من كبار الصحابة رضوان الله عليهم من يترك المندوب مخافة أن يعتقد الناس أن واجب.

وهذا منهم محافظة على ثبات الحكم الشرعي. لأن ما كان مستحبـاً ينبغي أن

١) الفتاوى لابن تيمية رحمة الله، ص ٣٨٨/١٠.

٢) الآيات والشمول في الشريعة الإسلامية، ٣٦٦، تأليف د. عابد السفياني، ط ٤٠٨/١٤٠، نشر وتوزيع مكتبة المدار، مكة المكرمة.

٣) المواقف للشاطئي ٤/١٧٠.

يكون كذلك. ومن اعتقاد أنه واجب يُبين له بالقول وبالفعل أنه غير واجب. وترك بعض الصحابة له بيان بالعمل على أنه ليس بواجب. وهذا البيان، وهو المحافظة على ثبات الحكم، أكد فهو إذن مقدم على فعل المستحب.

ونضرب لذلك مثلاً يثبت ما نقصد إليه، ونكتفي بيان موقفهم من الأضحية وهي مستحبة عند أكثر أهل العلم. وقد كان أبو بكر وعمر أبو مسعود الأنصاري لا يُضخرون لكي لا يظن الناس أن الأضحية واجبة وحتم عليهم.

روى أبو سريحة الغفاري الغفاري قال: ما أدركت أبا بكر أو رأيت أبا بكر وعمر رضي الله عنهما كانوا لا يضحيان في بعض حديثهم كراهية أن يقتدى بهما).^(١) وعن أبي مسعود الأنصاري قال: إني لأدع الأضحى وإنني لموسر مخافة أن يرى جيراني أنه حتم علي).^(٢)

(ولنذكر أن الأولويات نوعان: نوع ثابت وهو ما يتعلق بالعبادة ويشترك فيه جميع المسلمين على اختلاف قدراتهم وظروفهم وإمكاناتهم.

نوع متغير وهو ما يتعلق بالعمل والظروف الاجتماعية والشخصية. فالنوع الأول معاييره العالية واضحة، والجيمع في مضمار سباق لتحقيق أكبر قدر من النقاط. أما النوع الثاني فمعاييره متغيرة وتختضع لتقدير الفرد الشخصي).^(٣)

وعليه، تكون المسلمة واعية ناضجة وعلى بصيرة من أمرها. ذات شخصية متميزة، لا تقلد غيرها، بعيدة عن أمراض التبعية، فقد جاء فيما أخرجه الترمذى وحسنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَكُونُوا إِمْعَةً تَقُولُونَ: إِنَّ

٢) رواه البيهقي وقال الألباني حديث صحيح، ينظر إرواء العليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ٤/٣٥٥.

٣) رواه البيهقي وقال الألباني حديث صحيح، ينظر إرواء العليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ٤/٣٥٥. من كتاب الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية، ١٢٢-١٢٣.

١) العادات العشر للشخصية الناجحة، ١٨١، د. إبراهيم بن حمد العقيد.

أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا فلا تظلموا^(١).
والإمامية هو المقلد الذي يتبع كل ناعق تابعاً للدين غيره.

فماذا عن تعالي في الملابس، ليشغلها الترف عن جليل الأمور، وللifestyle
عدونا هو المستفيد الوحيد، حيث يبتز مالنا وثرواتنا، ويشغل وقتنا وفكernاه
بالتوافق... .

فلنحاسب أنفسنا قبل أن يستفحـل الأمر ويتسـع الخـرق على الـرـاقـع ونـكون
كما قال الشـاعـر:

نرفع دينانا بتمزيق ديننا
فلا ديننا يبقى ولا ما نرفع
ثم إنه:

«من لبس ثوب شهرة ألبسه الله يوم القيمة ثوباً مثله، ثم يلهم فيه النار». (٢)

٢) أخرجه الترمذى في البر والصلة، باب ما جاء فى الإحسان والعفو.

^٣ رواه أبو داود والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنه والحديث حسنة الألباني، ينظر صحيح الجامع الصغير.

٤) فقه المازنات:

(الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكتميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها، وترجح خير الخيرين، ودفع شر الشررين، وتحصيل أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما، ودفع أعظم المفسدتين باحتمال أدناهما).

والدليل على ذلك بأن الله تعالى قيد الأمور بالقدرة والاستطاعة والوسع والطاقة: فقال تعالى: «فاقتوا الله ما استطعتم» وقال جل شأنه: ﴿لَا يكُلُّ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَسَعَهَا﴾ ...

والتعارض إما بين حستين لا يمكن الجمع بينهما فيقدم أحسنهما بتفويت المرجوح.

وإما بين سنتين لا يمكن الخلط بينهما فيدفع أسوأهما باحتمال أدناهما.

وإما بين حسنة وسيدة لا يمك التفريق بينهما، بل فعل الحسنة مستلزم لوقوع السيئة، وترك السيئة مستلزم لترك الحسنة، فيرجح الأرجح من منفعة الحسنة ومضررة السيئة.

فالأول: كالواجب والمستحب. وكفرض العين وفرض الكفاية. مثل تقديم قضاء الدين المطالب به على صدقة التطوع.

والثاني: كتقديم نفقة الأهل على نفقة الجهاد والذي لم يتعين. وتقديم نفقة الوالدين عليه. كما في الحديث الصحيح: عن الرسول صلى الله عليه وسلم أي العمل أفضل؟ قال: الصلاة على مواقيتها. قلت ثم أي قال: بر الوالدين، قلت ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله.

وتقديم الجهاد على الحج كما في الكتاب والسنة متعين على متدين ومستحب على مستحب. وتقديم قراءة القرآن على الذكر، إذا استويا في عمل القلب واللسان. وتقديم الصلاة عليهما إذا شاركتهما في عمل القلب وإن فقد يتراجع الذكر بالفهم والوجل على القراءة التي لا تتجاوز الحناجر. وهذا باب واسع.

.... وأما سقوط الواجب لضرر في الدنيا، وإباحة المحرم لحاجة في الدنيا

فذلك كسقوط الصيام لأجل السفر، وأركان الصلاة لأجل المرض).^(١)

إن جلب مصلحة مala يصح بسببه الإضرار بالغير. فكيف تلزم المرأة زوجها بالاقراض، وتتبع لتصل إلى ذلك شتى الأساليب... وهذا لشراء زينة تلبسها أو ثوب تلبسه في مناسبة ما!

إن المصالح إذا تعارضت فُوتَتْ المصلحة الدنيا في سبيل المصلحة العليا. وضُحِي بالمصلحة الخاصة من أجل المصلحة العامة. ويعوض صاحب المصلحة الخاصة عما ضاع من مصالحه أو ما نزل به من ضرر. وألغيت المصلحة الطارئة لتحصيل المصلحة الدائمة أو الطويلة المدى.

وأهملت المصلحة الشكلية لتحقيق المصلحة الجوهرية.

وغلبت المصلحة المتينة على المظنونة أو الموهومة. وإذا تعارضت المفاسد والمضار ولم يكن بد من بعضها فمن المقرر أن يرتكب أخف المفسدين وأهون الضررين.

وهكذا قرر الفقهاء أن الضرر يزال بقدر الإمكان. وأن الضرر لا يزال بضرر مثله أو أكبر منه. وأنه يتحمل الضرر الأدنى لرفع الضرر الأعلى، ويتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام...

وإذا تعارضت المفاسد والمصالح أو المنافع والمضار، فالمقرر أن ينظر إلى حجم كل من المصلحة والفسدة وأثراها ومداها. فتغتفر المفسدة اليسيرة لجلب المصلحة الكبيرة. وتغتفر المفسدة المؤقتة لجلب المصلحة الدائمة أو الطويلة المدى. وتقبل المفسدة وإن كبرت إذا كانت إزالتها تؤدي إلى ما هو أكبر منها. وفي الحالات العادلة يقدم درء المفسدة على جلب المصلحة.

(١) الفتاوى لابن تيمية ٢٠/٥٤

وليس المهم أن نسلم بهذا الفقه نظرياً بل المهم كل المهم أن نمارسه عملياً).^(١)
- فماذا عن اهتمت بالسواك والمالحة فيه وأهملت الموالاة في الوضوء أو إسباغ غسل أعضاء الوضوء.
- وماذا عن امرأة اهتمت بزيتها للزوج، وأهملت الغسل من الجنابة مثلاً حتى فات وقت الصلاة.
- وأيهمما أولى للمرأة الاجتهاد في التوافل، أم متابعة أبنائهما وتوجيههم؟
- وأيهمما أولى للفتاة. الزواج لإعفاف النفس وإحسانها وزيادة ذرية المسلمين؟ أم العزوف عنه بحججة التفرغ للدراسة أو إكمالها؟
● أما «هدى» فقد ازدادت مشاكلها مع زوجها في الآونة الأخيرة... إنها «معلمة» وعليها القيام بأعباء الوظيفة... إنها أم وعليها واجبات تجاه أبنائهما... إنها عضوة في المجتمع واجبها البر وصلة الأرحام... عدا واجبها في طاعة زوجها.
رتبت أولوياتها: إن واجبها نحو أبنائهما لا يمكن لأحد القيام به غيرها.
وكذلك صلة الرحم وواجباتها الأسرية.

استعانت بأحد محارمها وطلبت مشورته: فلا بد أن تخفف عنها بعض الأعباء مما يخفف عنها الضغوط وبالتالي تحمل مشاكلها مع زوجها...
فكان أن تركت التعليم، فتجاوزت الحنة بسلام وعاشت حياة مستقرة.
و شأنها هذا كما قال الشاعر:

إن الليبيب إذا بدا من جسمه مرضان مختلفان داوي الأخطرا
ثم إن الوسائل إذا تعددت وكانت مشروعة كلها، فالأصلح منها قد تدخله

(١) أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة ٢٧-٢٨، ٢٤١٢، ط١، تأليف د. يوسف القرضاوي، نشر مكتبة وهة، القاهرة.

النسبة الاعتبارية، بمعنى أن الأصلح والأفضل قد يختلف باختلاف الزمان والمكان والأشخاص.

فرب وسيلة تكون أفضل في وقت دون وقت. ورب وسيلة تكون أفضل في مكان دون مكان. ورب وسيلة تكون أفضل بالنسبة لشخص دون شخص آخر.

والضابط في ذلك هو ملاحظة المصالح والنظر في مآلات الأفعال^(١).

(فلقد أباح الرسول صلى الله عليه وسلم للنساء الخروج إلى المساجد للصلوة كما أبو داود بسنده إلى أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا تمنعوا إماء الله مساجد الله، ولكن ليخرجن وهن تفلات.^(٢)

هذا ما كان في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم حدث بعد ذلك أن تغيرت حالة النساء وأحدثن ما لم يكن في عصر النبوة. حتى قالت عائشة رضي الله عنها ما رواه أبو داود: لو أدرك رسول الله ما أحدث النساء لمنعهن المساجد كما منعت نساءبني إسرائيل.^(٣)

فماذا عن امرأة تجد متعتها في الأسواق وتذهب جل وقتها فيها بحججة متابعة الجديد؟! وهي أبغض الأماكن إلى الله تعالى كما ذكر عليه أفضل الصلوة والسلام:

«أحب البلاد إلى الله مساجدها وأبغض البلاد إلى الله أسواقها». ^(٤)
وليس ما نقصده التبذل وعدم الاهتمام بالظهور أمام النساء المؤمنات حتى يقال: إن المتدبرات عديمات الترتيب والأناقة أو نحو ذلك...

١) فراغ الوسائل في الشريعة ١٦٥.

٢) نقلة: غير متطية.

٣) البات والشمول في الشريعة ٤٦٥.

٤) أخرجه الإمام مسلم.

إننا نشدد النكير على ذوات الفهم الناقص بالتسكع والتزهد وإهمال النفس. فالبظافة والمظهر اللائق للمرأة ليست هامشية، والله تعالى يحب أن يرى على عبده أثر نعمته... ولكن الإعتدال مطلوب.

فلنجعل شعارنا أعط كل ذي حق حقه. نعطيه بالتوافق المشروع بين حقوق الروح والنفس والعقل. ولا يراعي حكم تحسيني إذا أخل بحكم ضروري أو حاجي... .

فمن الأولويات عدم تضخيم الأمور أو تفزيتها، بل إعطاء كل أمر حقه وحجمه: قال الإمام العز بن عبد السلام: لا يخفى على عاقل قبل ورود الشرع أن تحصيل المصالح الخصبة ودرء المفاسد الخحضة عن نفس الإنسان وعن غيره محمود حسن. وأن تقديم أرجح المصالح فأرجحها محمود حسن. وأن درء أفسد المفاسد فأفسدتها محمود حسن. واتفق الحكماء على ذلك.. إلى أن قال: «واعلم أن تقديم الأصلح فالأصلح. ودرء الأفسد فالأفسد مرکوز في طبائع العباد. ولا يقدم الصالح على الأصلح إلا جاهمل بفضل الأصلح، أو شقي متဂاهل لا ينظر إلى ما بين المرتبتين من التفاوت». (١)

وقد بين ابن حجر رحمة الله:

جواز النهي عن المستحبات إذا خُشي أن يفضي ذلك إلى السامة والملل وتفويت الحقوق المطلوبة الواجبة أو المندوبة الراجحة فعلها على الفعل المستحب المذكور. (٢)

١) مجلة البيان، العدد ١٧٧، من مقال بعنوان الأولويات وضوابط تحديدها، د. عادل بن محمد السليم.
٢- فتح الباري، ٤/٢٤٩ لابن حجر المسقلاني.

بعض القواعد الأصولية في الأولويات

من الأولويات معرفة فرض العين وفرض الكفاية. وكذلك معرفة مقاصد الشريعة الضرورية والجاجية والتحسينية، ليسير المسلم على بصيرة من أمره.

(وإن الحقوق الواجبة على المكلف على ضربين:

حقوق الله كالصلوة والصيام والحج. أو من حقوق الآدميين كالديون والنفقات والنصيحة... وهي إما حقوق محددة شرعاً أو غير محدودة. فأما المحدودة المقدرة فلازمة لذمة المكلف حتى يخرج عنها كأثمان المشتريات وفرائض الصلوات.

وأما غير المحدودة فلازمة له، غير أنها لا تترتب في ذمته... مثل الصدقات المطلقة، ويدخل تحته سائر فرض الكفايات).

(وفرض الكفاية: ماله علاقة بإصلاح الخلق ومعاشرهم.

والامر بالمعروف ونحوه من فرض الكفاية. ويتعين على من كان له أهلاً.

ومن العلوم: علم القراءات الشاذة والمشهورة والأحاديث الصحيحة وعلم الطب والرسم القرآني، وبعض الأخلاق فرض عين وبعضها فرض كفائى).^(١)

(وكل ما كان من حقوق الله فلا خيرة فيه للمكلف على حال. وأما ما كان من حق العبد في نفسه، فله فيه الخيرة).^(٢)

فالصلوة والصوم والحج والطهارة فكلها من حقوق الله تعالى.

وتکاليف الشريعة ترجع إلى حفظ مقاصدها في الخلق وهذه المقاصد لا تعدو

ثلاثة أقسام: أن تكون ضرورية - حاجية - والثالث أن تكون تحسينية.*

١) المرافقات ١٠٣-١٠٢/١

٢) المرافقات ٢٦٢/٢

* ينظر من ٣١ / ثمت عنوان مقاصد الشريعة.

والطاعة إذا كانت تحقق مصلحة كبرى فهي ركن. وإن كانت تحقق مصلحة جزئية فهي نافلة.

والمعصية إذا كانت تجلب مضررة كبيرة فهي كبيرة من الكبائر. وإن كانت سبيلاً في ضرر قليل أو مفسدة جزئية فهي صغيرة من الصغائر التي تمحى بالاستغفار).⁽¹⁾

ومن المقرر فقهاً أن النافلة لا يجوز تقاديمها على الفريضة وأن فرض العين مقدم على فرض الكفاية. وأن فرض الكفاية الذي لم يقم به أحد أو عذر يكفي مقدم على فرض الكفاية الذي قام به من يكفي ويسد الشغرة. وأن فرض العين المتعلق بالجماعة والأمة مقدم على فرض العين المتعلق بحقوق الأفراد. وأن الواجب المحدد الوقت والذي جاء وقته بالفعل، مقدم على الواجب الموسع في وقته.

ومن المقرر أن المصالح المقررة شرعاً متفاوتة فيما بينها. فالمصالح الضرورية مقدمة على الحاجية والتحسينية والمصالح الحاجية مقدمة على التحسينية).⁽²⁾ فالضروريات أهم المقاصد الشرعية تليها الحاجيات تليها التحسينيات، فعمل المرأة في فضول النظافة والترتيب وتلميع الجدران ونحوها.... إذا تعارض مع العمل الدعوي سواء كان في مدرسة أو تجمع عائلي أو زيارة للجارات مثلاً فائيهما أولى؟ إن الأعمال الأولى تحسينية والعمل الدعوي فرض كفائي إلا إذا تعين عليها فيصبح فرض عين، فهو أولى.

أما العمل المنزلي من طبخ لا تقوم به إلا هي وذلك في منطقة لا توجد بها المطاعم مثلاً أو أن إمكانيات الأسرة المادية لا تتحمل ذلك. فعملها في المنزل أولى

.٣٠٠/٢) المواقفات .

.٣٦) أولويات المركبة الإسلامية .

لأنه يكون من فروض العين، والعمل الدعوي فرض كفائي.
ومن القواعد الأصولية:

﴿إِذَا ازدحَمَ واجْبٌ لَا يُكَنْ جَمِيعَهَا نَقْدِمُ أَوْ كَدِهَا. وَلَمْ يَكُنْ الْآخَرُ فِي هَذِهِ الْحَالِ واجْبًا. وَلَمْ يَكُنْ تَارِكُهُ لِأَجْلِ فَعْلِهِ أَوْ كَدِ تَارِكِ الْوَاجِبِ فِي الْحَقِيقَةِ﴾. (١)

• «ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب وما لا يتم المندوب إلا به فهو مندوب وما لا يتم فعل الحرام إلا به فهو حرام. وما لا يتم فعل المكروه إلا به فهو مكروه وما لا يتم المباح إلا به فهو مباح.

مثال ذلك: المشي إن كان لواجب كصلاة الجمعة فهو واجب. وإن كان لحرم كفعل فاحشة فهو حرام. وإن كان لمندوب كزيارة صديق فهو مندوب. وإن كان لمكروه كحضور مجلس لغوف فهو مكروه. وإن كان لنزهة فهو مباح). (٢)
فلو استعملت المرأة قارورة من قوارير «العصير» مثلاً لشرب الماء فهو مباح. أما لو وضعت بها سائلاً مضراً ووضعته بتناول أبناء الجيران، غيره منها ليشربه أحد صغارهم. فهذا استعمال حرام لتأكدها من تناول مسلم له وتضرره به. ولو وضعته في مكان آمن فهو جائز.

• والواجب تقديم الفرائض كلها على التوافل. وتقديم فروض الأعيان على فروض الكفاية. وتقديم الأهم من فروض الأعيان على ما دونه. وتقديم حاجة الوالدة على حاجة الوالد. ومن لا يفي ما له بنفقة الوالدين والحج فينبغي أن يقدم حقهما على الحج». (٣)

١) الفتاوى لابن تيمية رحمه الله، ٥٧/٢٠.

٢) قواعد الوسائل في الشريعة ٢٣٣، تأليف د. مصطفى بن كرامة الله مخدوم، ط١، ١٤٢٠هـ الرياض.

٣) إحياء علوم الدين للإمام النزاوي ٦٤٢/٣.

◦ ما حد له الشارع وقتاً محدداً من الواجبات أو المندوبات، فإيقاعه في وقته لا تقصير فيه شرعاً ولا عتب ولا ذم. وإنما العتب والذم في إخراجه عن وقته سواءً أكان وقتاً مضيقاً أو موسعاً).^(١)

• درء المفاسد مقدم على جلب المصالح:

(إن درء المفاسد مطلب شرعي وذلك للمحافظة على الدين.

ولكن من أين نعلم أن هذا مفسدة؟

والجواب: من الشارع. لأنه لا يستقل العقل بدرك المصلحة والمفسدة فإذا قلنا هذا مفسدة، فلا بد من شهادة الشرع لما نقول. وكذلك إذا قلنا إنه مصلحة.

ولقد استفتى الشاطئي رحمة الله: هل يباح لأهل الأندلس بيع الأشياء التي منع العلماء ييعها من أهل الحرب كالسلاح وغيره، لكونهم محتاجين إلى النصارى في أشياء أخرى من المأكول والملبس وغير ذلك، أم لا فرق بين أهل الأندلس وغيرهم من أرض الإسلام؟!

فأجاب الشاطئي بالمنع. ولم يلتفت إلى الضرورة التي تعذر بها المستفتون. لأنه رأى أن حماية المسلمين من العدو وما تقتضيه تلك الحماية من عدم تمكينه مما يعينه عليهم، أولى من حاجة بعض الناس إلى الطعام).^(٢) فالضرورة تقدر بقدره.

ويتحملضرر الأخف لدفع ضرر الأشد.

ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح.

أما (مها) فكانت تريد العناية بصحتها وجمالها فصارت تنفرد بالقوت دون

١) المواقف للشاطئي رحمة الله، ١٠٠/١.

٢) الثبات والشمول، ٤٦٣.

أولادها وتستبد به وتخصل نفسها دونهم، رغم أن هذا ليس من طبع الأم السوية والتي تقدم حظ أولادها على نفسها وتؤثرهم ولا تخافي نفسها عليهم. أما الأم المريضة فهي تعين أبناءها على البر بها وتحميهم من مفسدة العقوق ومحبته، معها أو مع والدهم وذوي الحقوق عليهم.

• وجوب سد الذرائع:

الذرائع هي: ما ظاهره مباح ويتوصل به إلى محرم. أو هي المسألة التي ظاهرها الإباحة ويتوصل بها إلى فعل محظور.^(١) وما يدل على وجوب سد الذرائع قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْبِوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيُسْبِوْا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.^(٢)

فمنع الله تعالى من هذا الفعل على ما فيه من المصلحة، وذلك لتحقيق مفسدة أكبر وهي سب المشركين لله تعالى.

ولقد حرم عليه الصلاة والسلام الخلوة بالمرأة الأجنبية، وأن ت safar مع غير محرم، ونهى عن بناء المساجد على القبور وعن الصلاة إليها وعن الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها وقال: إنكم إذا فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم».

وحرم نكاح ما فوق الأربع لقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَلَا تَعُولُوا هُنَّ النِّسَاءُ ٣/٣﴾. وحرمت خطبة المعتدة تصريحًا ونكاحها، وحرم على المرأة في عدة الوفاة الطيب والزينة وسائر دواعي النكاح...

كل ذلك سداً لذرية الفساد.^(٣)

١) قواعد الرسائل في الشريعة الإسلامية، ٣٦٦.

٢) سورة الأنعام، ١٠٨.

٣) النبات والشمول في الشريعة الإسلامية، ٣٥٩.

أرادت (مها) السفر إلى مكان تكشف وعرى. وكان السفر للفسحة والترفيه... فما الحكم وما ذلك السفر إلا مطية للتزود من الخطايا والآثام؟! إن ما يؤدي إلى المحرم فهو محرم لا شك في ذلك. والمرأة الصالحة تتحرز من فعله.

وقد جاء في الحديث الصحيح ما رواه أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: «دع ما يرريك إلى ما لا يرريك». فيجب الابتعاد عما يلهب العواطف والأهواء. وكل ما يؤجج الشرور، وما يتسبب في التقاوع عن فعل الخير، وعبادة الله كما يحب سبحانه وتعالى.

* * *

المبحث الثاني الأولويات في ميزان الإداريين والتربويين

إن الأمم التي تريد أن تنهض بمجتمعاتها تلتفت إلى الأهم: عندما زار الرئيس الأمريكي الأسبق -نيكسون- الصين، عقد مؤتمراً صحفياً، وسئل فيه أحد المسؤولين الصينيين عن أسباب تحقيق معجزة العصر التنموية (في الصين) فطلب منهم أن يخمنوا. قال صحفي: السبب يعود إلى عظمة الشعب الصيني. وقال آخر: سببها انضباط الفرد الصيني ...

أجاب المسؤول: الفضل الوحيد هو سياسة الدرجة. فلو لم نعتمد في تنقلاتنا عليها، واعتمدنا على السيارة لاضطررنا إلى استيرادها من العالم الرأسمالي حيث توجد... وعند ذلك ستتحول إلى عبيد يكبحون من أجل استيراد قطع الغيار لهذه السيارات!

هلا رضينا بما رضيت به الصينيات، فتعيش المسلممة هموم أمتها! عندها تحول النوايا الصالحة إلى عمل جاد ونافع.

إن المرأة الناجحة هي من تحسن التوفيق بين الأعمال. فإذا ازدحمت عليها لا تتركها جميعاً.

أما (هيفاء) فقد كانت الهموم تعصر قلبها، وهي تنشغل في فراشها، ها قد بدا يوم جديد، فأي عمل ستقوم به من الأعمال التي تتظرها؟ فهو الطبخ أم التسلية أم التسوق أم الإشراف على الأولاد؟... وبشاقل كثيف وصلت إلى المطبخ... ثم عادت لأنه ليس لديها أدنى (قابلية) للعمل؟!

أما إنها لو رتبت أولوياتها لما وقعت في ذلك الإرباك. إن ترتيب الأولويات مهم للغاية، مريح لمن يتبعه، للرجال والنساء، سواء في البيت أو العمل وفي كل ميادين الحياة.

-١-

عملية ترتيب الأولويات

أمر نسيبي، فما يناسب (س) قد لا يناسب (ع) وما يلائم اليوم وهو من الأولويات فيه، قد لا يكون على هذه الدرجة غداً. فمن أجل رؤية ناضجة للحياة يؤخذ ذلك في الحسبان عند ترتيب أولوياتنا.

وعلى العموم: نحرص على البعد عن مضيعات الوقت، ونجعل هوانا تبعاً للشرع ونعتاد على ذلك، ثم نلتفت إلى العمل الأكثر ضرورة. أما من يقدم الكمال على الضروري فهو كمن يبني الدور الثاني وهو لما يضع الأساس بعد، فهل يتم له ذلك؟!

ولعل عبارة «سلم الأولويات» والتي كثيراً ما نسمعها، ترمي إلى الخطوة تليها الأخرى، ولا نصل إلى العليا قبل السفلى، وإن أضر المرء بنفسه وبين حوله، ونخاب في سعيه إلى الوصول. ولا تكشر المشاكل وتعتم الفوضى في الحياة، إلا بحسب تضارب الأولويات مع الثانويات وعدم ترتيبها الترتيب السليم.

ومن نتائج الدراسات حول ترتيب الأولويات، وإمكانية تفويض بعض الأعمال للغير:

جدول ايزنهاور: الأمور عنده تقياس بمقاييس: مقياس الأهمية ومقياس الاستعجال.

وعليه، فالأمور إما مهمة وعاجلة مثل الأزمات الطارئة، والمهام التي اقترب موعدها. فهذه أعمال لا يمكن تفويضها لأحد ليعملها ولا يمكن تأجيلها.

- وأمور مهمة وغير عاجلة: وهذه يمكن تفويض أجزاء منها، مثل التدريب وإعداد الخطط والأنشطة الرئيسية.

- وأمور غير مهمة وغير عاجلة: يمكن تفويضها مثل الأمور المتكررة الروتينية أو

البساطة.

- وأمور غير مهمة وعاجلة: مثل المكالمات والزيارات، والأفضل تفويضها، علماً أن المسؤلية لا تفرض.^(١)

والإنسان الناجح الفاعل في هذه الحياة ليس الإنسان المتبع أو الذي ينجز الأمور فقط، بل هو الإنسان الذي يحقق النتائج المطلوبة في الوقت المتأخر. مع الاستعداد لتغيير نوع أو درجة الأولويات حسب الحال:

فقد يكون الأمر قليل الأهمية الآن، ولكنه بعد أسبوع يكون عالي الأهمية، لقرب موعد إنتهائه أو لتطور جديد من أي نوع. وقد يكون الأمر عاجلاً جداً الآن، وبعد ساعتين تنتهي هذه العجلة. يكون الأمر عاجلاً جداً الآن، وبعد ساعتين تنتهي هذه العجلة. ويمكن عن طريق التخطيط تفادياً أي إرباك في مباشرة الأولويات وكقاعدة عامة:

«لا ترجل أولوية اليوم إلى الغد. لا ترجل عاجل الساعة إذا كان مهماً ضرورياً إلى ساعة أخرى».^(٢)

فيجب أن لا نبدد أوقاتنا ونذهب عمرنا سدى، ونضيع معارفنا باللامبالاة.. وكمرأة مسلمة لا بد أن أسأل نفسي: هل أنا مؤدية لواجبي؟ في عباداتي من صلاة وصيام و.... وصلة الأرحام والبر بالوالدين.... وماذا يمكن أن أستمر عليه من برامج نافعة، كتابة، حفظ القرآن الكريم... وماذا يجب أن أقلع عنه وأتر كه؟ قد يكون ذلك زيارات غير ذات جدوى مثلاً (فيها لغو الكلام...) أو إطالة المكالمات الهاتفية مثلاً.

١) عن مجلة المجتمع العدد ١٤٤٩، من مقالة بعنوان: تنظيم الوقت، د. صلاح الدين محمود وينظر أيضاً: المادات المشر للشخصية الناجحة ١٧٤.

٢) المادات المشر للشخصية الناجحة ١٨٢، د. إبراهيم بن حمد التعبي، نشر دار المعرفة للتنمية البشرية، الرياض، ١٤٢٢ـ.

(وماذا يمكن أن أفعل ليتحسن وضع أسرتي؟ من حيث الدين، أو تماسك الأسرة، أو الدخل المادي؟)

لا أن نجعل التخسيس والتبييض والهندام هو في قمة الأولويات؟ وإنما نفكر! ماذا يمكن أن أفعله بجودة أكثر؟ فهو عملي المهني؟ أو الأسري؟

قد يقتضي ذلك متابعة الجديد في مجال التخصص، أو تربية الأولاد أو تدبير المنزل... .

بذلك نطور مهاراتنا، ونحسن أداءنا، وقبل كل ذلك نرضى ربنا عزوجل.

* * *

-٢-

وضع الأهداف ضرورة لا بد منها

(هناك حاجات أساسية هامة في حياة الإنسان، وهذه الحاجات إن لم نشعها تصبح حياتنا فارغة وناقصة...
إن جوهر هذه الحاجات يمكن إيجازه في مقوله: (أن تعيش وتحب وتتعلم وتترك وراءك الأثر الطيب).

وهي حاجات تتعلق بإيجاد معنى للحياة وهدف منها. كما تشمل التوازن الشخصي والإضافة المعنوية للحياة).^(١)

هذه كلمات إداريين أجانب، أما نحن المسلمين، فهedefنا الأساسي في الحياة:
عبادة الله وحده لا شريك له، نسعى جميعاً لأدائها على أكمل وجه.
ومن المعلوم أن الشخص الذي ليس لديه رسالة واضحة في حياته ولم يحدد أهدافه الكبيرة، ولم يحولها إلى أهداف ومهام أصغر، لا يمكن أن يحدد أولوياته.
وإذا سألت عن السر الذي يجعل الأولويات مختلطة عند كثير من الناس، مما يؤدي إلى شغل أوقاتهم في الأمور العاجلة غير الضرورية والتي أكثرها أمور تافهة وهامشية. فإن السبب باختصار يكمن في أن هؤلاء ليس لديهم أهداف واضحة في حياتهم. أو أنهم يدركون بأن لديهم أهدافاً واضحة لكنهم يؤجلونها ويسوفون في تحقيقها).^(٢)

(فتحديد رسالة المرء في الحياة، تعطيه القاعدة الأساسية التي في ضوئها يقرر على أي حائط سيستند السلم الذي سيصعد إليه إلى أعلى).^(٣)

(١-٣) إدارة الأولويات (الأهم أولاً) ص ١٥٨-١١٥، تأليف ستيفن، ر. كوفي، وروجر ميريل ريسكا ميريل، ترجمة د. السيد المتولي حسن، ط ١، ١٩٩٩م، نشر مكتبة جرين، الرياض.

(٤) المادات العشر للشخصية الناجحة، ١٨٠.

وقد أشارت الدراسات النفسية إلى أن شعور الإنسان بأنه يسير في اتجاه هدفه أو أنه قريب منه يشحّنه بروح قوية من الحماس والنشاط، ويجعله يتذوق طعم النجاح وينتقل من نجاح إلى آخر).^(١) وتحديد الأهداف يعني – إن شاء الله – نصف الطريق إلى تحقيقها فالإنسان الذي يعرف ما يريد، تراه يبحث عن كل الطرق والوسائل للوصول.

أما الشخص الذي لا يعرف ما يريد، فلو قدم له الناس كل أنواع المساعدة، فقد لا تفيده على الإطلاق).^(٢)

إن عملية وضع الأهداف عملية هامة. إنها مبنية على مبدأ التركيز الذي يسمح لنا بتجميع أشعة الشمس المنتشرة في عدسة قارورة على إشعال حريق... إنها العامل المشترك لنجاح الأفراد والمنظمات. ولكن رغم مزاياها الواضحة، فإن الخبرة والمشاعر حول عملية تحديد الأهداف تختلف. فبعضنا يمكنه وضع أهداف طموحة، ويمارس انبساطاً هائلاً وفي النهاية يدفع ثمن الإنجاز الكبير. أما البعض الآخر فلا يمكنه الالتزام بهدف عادي لمدة يومين.

وعليه، يجب أن تستند الأهداف إلى مبادئ واضحة وقيم نافعة مما يحقق حياة متوازنة. وإن كثيراً من الفنانين وصلوا إلى أهدافهم من الشهرة... وكم من الرياضيين نالوا أمجادهم التي يتعلمون إليها في البطولة، ومع ذلك يعيشون حياة تفتقر إلى السعادة. وما ذاك إلا بعدم عن التوازن في أهدافهم.

إن تحديد الهدف والسعى للوصول إليه، يساعد على مواجهة التحديات ويعطي المرء قوة تدفعه للعمل، وراحة نفسية وسعادة غامرة إذا هو قام بذلك.

وقد قال برناردشو: (السعادة الحقيقة في الحياة: هي أن تقضي حياتك من أجل هدف تعتقد أنه هدف مقدس. أن تكون قوة من قوى الحياة بدلاً من أن

تكون مجرد شيء صغير، أناهياً معزولاً مليئاً بالشكوى والحزان، ينذر حظه أن هذا العالم لم يكرس نفسه لجعله سعيداً).^(١) وليس من هدف أفضل من الجنة، والسعى للوصول إليها، وأكرم به من هدف سام.

وأهمية تحديد الهدف كما ينطبق على الأفراد. لا بد وأن يشمل الجماعات أيضاً. فالآباء والآباء عندما وضع الهدف بأذهانهم، نجحوا في زرع القيم التي ترتكز على حب العمل والتركيز على عنصر الجودة وذلك في المجتمع بأسره. وفي ماليزيا، جعل من أولويات القيم الماليزية: أن قيام الرجل الماليزي بمسؤولياته تجاه أسرته ومجتمعه يأتي قبل حقه في المطالبة بمزاياه الفردية.

فإذا ما تمادي الفرد بالتعدى على حقوق المجتمع، فإن ذلك الشخص يكون فعلًا قد سرق من حقوق الأقلية. ويسعى بكل أناهياً لخدمة مصالحه الخاصة. وهذا ما هو مرفوض في ظل القيم الآسيوية الماليزية).^(٢) فلتسائل الواحدة منها نفسها: ماذا يمكن أن أفعله؟ وماذا أحسن فعله ياقان أكثر؟ وهل نجحت في دوري كمسلمة عابدة - وربة بيت وزوجة ناجحة)، وأم مربية، واجتماعية ناضجة؟!

لنحدد هدفنا ثم نلتزم بتنفيذها، سواء كان دينياً أو شخصياً أو صحياً... الخ. وإن وجدنا أن الأهداف الكبيرة بعيدة المنال، فلنحاول... لنضع الأهداف المرحلية في هذا العام سأعمل كذا بإذن الله. احفظ كذا من القرآن الكريم... أدرس كتاباً يعرفي بمسؤوليتي كأم صالحة ومصلحة... وهكذا.. وكلما نجحنا في الوصول إلى الهدف المرحلي، تطلعنا إلى الأكبر. ورحمة الله

١) إدارة الأولويات (الأهم أولاً) ص ١٦٤، ١٦٤، تأليف ستيفن ر. كوفني وأخرين.

٢) مجلة البيان العدد ١٧٨، من مقال بعنوان: الأبعاد القيمية وأثرها على التنمية في ماليزيا، عبدالحليم البراك.

عمر بن عبد العزيز، فلقد نال الكثير من مباحث الدنيا وحظوظها ولما وصل إلى الخلافة تاقت نفسه إلى الجنة... فنشط لذلك الهدف السامي وعمل لبلوغه. المهم أن نعرف ما تريده.. وأن تنسجم أهدافنا مع مبادئنا.. وأن يصبح هوانا بعًا لما أراده الله. وأن نلتزم بتحقيق أهدافنا السامية.

والسؤال المطروح الآن هو: كيف أصل إلى أهدافي؟



- ٣ -

أهمية التخطيط في الوصول إلى الهدف

التخطيط مهارة ثمينة.. وعندما يتمكن الإنسان من هذه المهارة، يمارسها في حياته، ويرى فوائدها المباشرة، يجد نفسه وقد ارتبط بالتخطيط وجعله جزءاً لا يتجزأ من حياته).^(١)

إن عملية تجميع المعلومات، وافتراض توقعات المستقبل، من أجل صياغة النشاطات اللازمة لتحقيق الأهداف).^(٢)

وفي حياتنا أمثلة كثيرة تبين نتائج التخطيط الإيجابية:

- فلقد كانت الفوضى تضرب أطناها في بيت زهرة:
وكلما أراد زوجها ورقة بحثت عنها في كل درج ومكتب!
وإذا أراد ابنها جواربه جرت إلى الدواليب بحثاً عنها...
وإذا فكرت باستعمال أداة من أدوات المطبخ، سارعت إلى عشرة ما فيه، علها تجد غايتها المنشودة!

أضحت (زهرة) قاتمة الوجه، كثيرة الشكوى، ساخطة كثيبة. فالأعمال تنقلها، والمشاكل تلاحقها، والعلاقات السيئة مع الآخرين كانت تزيد كل يوم بسبب تعكر مزاجها...

ولما أرشدتها صاحبها الناضجة إلى التنظيم، وحسن التخطيط، وأن تقوم بواجبها دون تسويف... ومن ثم عملت بالنصيحة فوضعتها موضع التنفيذ ولم تركن إلى الأماني والأحلام...

١) العادات العشر للشخصية الناجحة ٢١٧.

٢) دليل التدريب القيادي ١٠٦.

عادت إلى وجهها البشاشة، وإلى نفسها الحيوية، وإلى حياتها التعامل الهدئ الودود، وأصبحت الأسرة أكثر تعاطفاً وتماسكاً.
فإنجاز الحسن إنما هو نتاج تخطيط حسن، وتنفيذ جيد، دون استعجال.
ولنذكر: أن من استعجل الشيء قبل أوانه، عوقب بحرمانه. كما يقول فقهاؤنا الأفضل.

لذا يحسن وضع أهداف طويلة ومتوسطة وقصيرة الأجل، ومن ثم لا تقاعس عن التنفيذ.

(فالخطيط اليومي يعطينا رؤية محدودة ليوم واحد، أو لقطة مكثرة مقربة تجعلنا مشغولين بما هو قريب جداً من أعيننا.

أما التخطيط الأسبوعي؛ فيقدم لنا المنظور الأوسع والشامل لما نقوم به).^(١)
 وبالتالي الخطط نحدد المخاطر التي تتوقع أن توصلنا إلى ما نصبوا إليه في برنامج محدد واضح.

● من فوائد التخطيط: أنه يجنب تائج العمل الإنحراف عن الهدف المحدد، ويشجع على الإنجاز... ويضمن الاستخدام الأمثل للإمكانات والموارد).^(٢)

ولقد كتب بنiamin فرانكلين منذ أكثر من مائة عام يقول:
إنه إذا أردت أن تستمتع بوحدة من أمنع وأجمل رفاهيات الحياة، وهي: أن يكون لديك وقت كافٍ لكي تستريح، لكي تفكّر ولكي تقوم بإنجاز الأعمال المطلوبة منك على خير وجه، فإن هناك وسيلة واحدة فقط وهي: أن تأخذ وقتاً كافياً في التخطيط للأشياء طبقاً لأهميتها. وأن يكون لك بالتالي أولويات).^(٣)

١) إدارة الأولويات .١٦٤

٢) دليل التدريب القيادي .١٠٧

٣) مجلة المدار الجديد، العدد ٥٥، شهر ٤/٢٠٠٢م.

فبالخطيط الجيد نصنع سعادتنا، لأن تكون أعمالنا تحت الضغط الملح والطلب السريع.

ويساعد التخطيط على استغلال الفرص المتاحة لتحقيق الأهداف بعيداً عن العشوائية، على أن يكون ذلك ببرونة. فهو التخطيط الجاد والمرن في آن واحد.

أما أن تكون تخطيطاتنا قيوداً تكبلنا عن عمل الأهم، وتحرمنا من القيام بالواجبات، لأن تلك الواجبات لم تكن ضمن مخططاتنا فهذا خطأ! وإن شعرنا أن تخطيطاتنا هي ضغوط لنا، ونحن مغلوبين على أمرنا إذ لا نقدر على تجاوزها. فهذا خطأ يحرمنا سعادتنا.

إنه وإن كان لا بد للعمل كي ينجح من تخطيط مسبق له، لكن هذا لا يعني أن نضع أنفسنا أسرى لما خططنا له وحسناً ما قيل: (الاعتقاد بأن تحديد الأولويات ثم السعي لتحقيقها هو الفاعلية أمر يقود إلى الحماقة).

أي أن تكون نحن وقيمنا هي القوانين لأنفسنا ثم ننظر إلى الآخرين على أنهم أشياء أو مواد نستخدمها للوصول إلى ما نريد. إن هذه القيم لن تجلب السعادة إلى حياتنا ما دمنا لا نهتم بالمبادئ^(١).

فمن كان لديها غير العبادات اليومية (من صلاة وقراءة القرآن.... لديها في أحد الأيام: وليمة غداء + تسوق + فسحة هذا كان جدولها الذي خططت له مسبقاً...).

ومن ثم مرضت الجدة، فما العمل؟
هل تمسك بالقرر لأعمالها؟ ولو على حساب مسؤولياتها؟!

(١) إدارة الأولويات .٦٩

إن التخطيط المرن يعني: أن يؤجل ما يمكن تأجيله...
إذن فليؤجل التسوق أو الفسحة مثلاً... لأن زيارة المريضة أولى وصلة
الأرحام والبر واجبة ويجب أن لا تهرب من الواجب.

• • •

• (رهام) كانت تريد أن تعمل كيت وكيت..
كانت تريد أن تتعلم اللغة الأجنبية - وتأمل أن تحفظ القرآن الكريم - وتمني
أن تقوم بواجباتها المنزلية بصورة أفضل...
ولكن ذلك كله سرعان ما يتلاشى... وتعادد الروتين الذي كثيراً ما كانت
تشكو منه:
تشكو أن حياتها مملة.. أكل وشرب ونوم وعمل في المطبخ لا ينتهي،
(وريجيم) لا يضبط... وصوبيحات تشكو من ثرثرتهن...
وطفل يلاحقها!!
أما إنها لو اعتمدت على نفسها، بعد توكلها على الله، وعملت حسب خطة
سليمة، وبرنامج زمني يلور أهدافها... لنجحت وأصبحت بهمتها العالية ذات
كيان محترم.

• • •

• ولنذكر أن إسعاد من حولنا يزيد سعادتنا. فلننسع إلى عمل علاقات طيبة
وصحية مع الآخرين. نستفيد من آرائهم، ونتنقى من أطابق نصحهم ما ينفعنا.
ونتبادل المعلومات المفيدة.

ومن ثم نخطط للوصول لأهدافنا حسب ما يناسبنا. ولا تتكل على غيرنا في ذلك. (فإن أفضل شخص يحدد أولوياتك هو أنت. ولكن لا يأس من الاستعانة بالآخرين واستشارتهم والاستفادة مما يقدمون من أفكار وتسهيلات).^(١) أما من يقلد الآخرين فقد يسوء بالفشل. فلنقتبس ما يلائمنا لأن الحكم ضالة المؤمن.

• يوم في حياة «صالحة»:

«صالحة» امرأة كانت تنوي أن تكون منظمة وواقعية. بدأت «صالحة» منذ الصباح الباكر تسجل ما أنجزته فعلاً، وما بقي من أعمالها أيضاً!

سجلت حتى أعمالها البسيطة: استعملت الفرشاة لأستانها، تناولت طعام الإفطار، أدت صلاتتها، زارت صديقتها، قرأت وردها من القرآن الكريم، ساعدت أنها في أعمال المطبخ... الخ.

سجلت كل ذلك. لأنها تعلم أن هذا يعينها لمعرفة الوقت المهدور وراعت ذلك في مخططها المستقبلي...

لقد استفادت كثيراً: تربى وعيها، فبدأت تضبط نفسها باتزان، كما وتدربت أن تحيا لأهدافها، وأن تحسن التحكم في تصرفاتها فلتغي ما يحسن إلغاوه.

لقد أصبحت «صالحة» امرأة بارعة في التخطيط، واكتسبت خبرة ساعدتها في الوصول بسهولة ويسراً إلى تحقيق أحلامها. وهكذا فبالتخطيط الهدف، نستطيع أن نستفيد من أوقاتنا، ونقوم بأهم واجباتنا.

(١) المادات العشر للشخصية الناجحة ١٨١، د. إبراهيم بن حمد القبيّد، ط٢، ٤٢٢م، دار المعرفة للتحمية البشرية، الرياض.

- ٤ -

خصائص الناس الذين يعيشون وفق المبادئ والمثل العليا

- إن أصحاب الأهداف يعيشون لتحقيقها، ويحسون بقيمة إنجازاتهم، خلافاً لأصحاب الأهواء والمنافع الترفيهية، وفيما يلي أبرز صفاتهم:
- إنهم أكثر مرونة وتلقائية: لأنهم يستمدون الأمان من البوصلة الداخلية التي تدفعهم إلى الإبحار بثقة إلى المجهول.
 - علاقاتهم بالغير أغنى وأكثر نفعاً: ولا يدخلون في حلبات الصراع والمنافسة واللوم مع الآخرين، ويرون في كل الناس فرصاً غير محدودة للنجاح.
 - أكثر استعداداً للفيصل الإيجابي مع الغير: ويرفون كيفية الاستفادة من نقاط القوة لديهم، وكيفية تعويض نقاط الضعف بالتكامل مع نقاط القوة عند الغير.
 - إنهم يتعلمون باستمرار.
 - إنهم يصبحون أكثر تركيزاً على العطاء والمح، بدل الأخذ، وتحسين حياتهم وحياة من حولهم.
 - يضعون الحدود لأنفسهم، يستخدمون الحكمة، ينفقون باتزان، ويدخرن، ويستثمرون للمستقبل، حياتهم أكثر توازناً، ولا يستفزهم العمل.
 - لديهم نظام نفسي سليم يمكنهم من مواجهة المشكلات: مملؤون بالثقة والاطمئنان. ثقة تأتي من الداخل، من مبادئهم والعيش وفق ما يملئه الضمير.
 - قادرون على تنفيذ ما يقولون: فلا نفاق، ولا ازدواجية عندهم بين الضمير والعقل. لهم دائماً رصيد كبير من الكرامة والصلابة الذاتية.
 - إنهم يشعرون بالطاقة الإيجابية: فهم أكثر مرحًا وتفاؤلاً وحماساً وتحليلاً على المعوقات.

- يستمتعون أكثر بالحياة: يعيشون الحاضر باستمتاع ومرح ويخططون للمستقبل بعناية.
ويا بجاز.

إن العيش وفق المبادئ ليس بالأمر الهين، ولكنه يحقق جودة أفضل للحياة).^(١)

ويتحقق لأصحاب المبادئ أهدافهم، فلا يعيشون هملاً كما تعيش السائمة، بل يقومون بما يتوجب عليهم لصالح الدارين. قال تعالى:
﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّابَرِ﴾.
فعمل الصالحات والتوصي بالصبر والحق، من أبرز أولويات المسلمين.

(١) إدارة الأولويات: (٤٣٤-٤٣٠) بيا بجاز.

الفصل الثالث

الأولويات في حياة المرأة المسلمة

المبحث الأول: العقيدة أولاً

المبحث الثاني: العلم وأولوياته.

المبحث الثالث: العمل الصالح.

المبحث الرابع: العمل في المنزل وتربيه الأبناء.

المبحث الخامس: استغلال الوقت بما يرضي الله.

الأولويات في حياة المرأة المسلمة

يقول أحد كبار علماء النفس: إن المؤسسات الزوجية الناجحة هي التي تقوم على نظام الأولويات المدروس دراسة وافية.
وهكذا، وبعد وضوح الهدف في ذهن المرأة، في أن تكون مسلمة متميزة عابدة لربها، قائمة بواجباتها.

عليها أن تجيد التخطيط، ومن ثم تحسن التنفيذ، فلا تؤجل عمل اليوم إلى الغد، وتراعي ما استطاعت الأولويات في حياتها...
ولا مانع من تفويض بعض المهام للخادمة إن وجدت، أو لأحد أفراد الأسرة الذين يحسنون تلك المهام، لسفرغ هي للقيام بالمهام الأخرى..
فككون جادة ومصلحة، تترك أثراً طيباً فيما حولها...
ليست إمامة تقلد الآخريات، ولا هامشية ترضى لنفسها بالتفاهة تسير على هدى وبصيرة..

وإلا فمن ترید أن تعمل كيت وكيت ولا ترتب أولوياتها، ولا تخطط لحياتها، فإن مثلها في السذاجة مثل طفل في دكان الألعاب يمسك بهذا ويمسك بهذا... ثم في النهاية يخرج من محله ويده فارغة من الدمى كلها!
وعليها دائماً أن تتمسّك بالثوابت والفرائض الدينية والبعد عن المحرمات. فإن ما كان من حقوق الله تعالى فلا خيرة فيه.
وفيما يأتي سوف نلقي الضوء على هذه الأمور حسب أهميتها وترتيبها في سلم الأولويات:

المبحث الأول العقيدة أولاً..

إن المبدأ قوة تشنحتنا لتعديل تشنحتنا لتعديل الموروثات، والتأثير في الحياة..
وتشعرنا بالطمأنينة وراحة البال.

هذا ما يقرره التربويون عامة، فماذا عنا نحن المسلمين؟!

إننا لو تلمستنا سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم لوجدنا أن مهمته كانت في مكة تحصر في ثبيت العقيدة وذلك لمدة ثلاثة عشرة سنة.

ولما بعث معاذًا إلى اليمن، قال له فيما رواه ابن عباس رضي الله عنهما: «إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عزوجل. فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم. فإذا فعلوا ذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم زكاة تؤخذ من أغنىائهم فترد على فقراءهم...»

فإذا أطاعوا بها فخذ منهم وتول كرائم أموالهم». (١)

إذن فلنبدأ بالعقيدة أولاً. نسعى إلى ثبيتها في النفوس، وتخليص التوحيد من شوائب الشرك...»

وإذا صلحت العقيدة، فالمجال رحب لصلاح ما عداها.

وقد قال الله تعالى: ﴿فَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّمَا حَرَمَ رَبِّكُمْ أَنْ تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدِينَ إِحْسَاناً وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرِبُوا الْفَوَاحِشَ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَاحِبُكُمْ بِهِ لَعْنَكُمْ تَعْقِلُونَ﴾. (٢)

(١) أخرجه الإمام مسلم، كتاب الإيمان بباب الدعاء إلى الشهدتين وشرائع الإسلام.

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٥١.

(إنها تنقية الضمير من أو أوشاب الشرك، وتنقية العقل من أو شاب الخرافة، وتنقية المجتمع من تقاليد الجاهلية، وتنقية الحياة من عبودية العباد للعباد... إن الشرك في كل صورة هو المحرم الأول، لأنه يجر إلى كل محرم، وهو المنكر الأول الذي يجب حشد الإنكار كله له، حتى يعترف الناس أن لا إله إلا الله...).

إن الله قبل أن يوصي الناس أي وصية أو صاهم ألا يشركوا به شيئاً... إنها القاعدة التي يرتبط على أساسها الفرد بالله على بصيرة. وترتبط بها الجماعة بالمعيار الثابت الذي ترجع إليه في كافة الروابط وبالقيم الأساسية التي تحكم الحياة البشرية.

فلا تظل نهباً لريح الشهوات والنزوات واصطلاحات البشر التي تتراوح مع الشهوات والنزوات).^(١)

• ويدخل في مسمى الإيمان: وجَلَ القلوب من ذكر الله، وخشوعها عند سماع ذكره وكتابه، وزيادة الإيمان بذلك، وتحقيق التوكل على الله عزوجل، وخوف الله سرأً وعلناً، والرضى بالله ربأً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً... وإثارة محبة الله ورسوله على محبة ما سواهما والحب في الله والبغض في الله، والعطاء له والمنع له. وأن تكون جميع الحركات والسكنات وسماحة النفوس بالطاعة المالية والبدنية والاستبشار بعمل الحسنات والفرح بها، والمساءة بعمل السيئات والحزن عليها. وإثارة المؤمنين.

وكثرة الحياة وحسنخلق، ومحبة ما يحبه لنفسه لإخوانه المؤمنين. ومواساة المؤمنين خصوصاً الجيران. ومعاضدة المؤمنين ومناصرتهم، والحزن بما يحزنهم).^(٢)

(١) في ظلال القرآن، ١٤٣٠/٢ لمزيد قطب، رحمة الله.

(٢) جرائم العلوم والحكم، ٣٠-٣١ لابن رجب الحنبلي.

• إن من يرسخ الإيمان بالله تعالى في قلبه، فإنه يضمن زاداً يوصله إلى النجاة بإذن الله، ألا وهو: التقوى التي تفيء بالقلوب إلى السبيل القويم.

فمن ثمرة التقوى: رؤية الحق حقاً ورؤية الباطل باطلأ.

فقد قال تعالى: ﴿هُيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَقَوَّلُ اللَّهُ يَجْعَلُ لَكُمْ فِرْقَانًا وَيَكْفُرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.^(١)

وهكذا، فتقوى الله تجعل المؤمنة مطيعة لله، فلا تعصيه، تشكره ولا تکفره.

أما إذا غلبها الهوى مرة، أو داهمتها الغفلة فتحجبت عنها الحقيقة، فإنها تعود إلى رشدتها، وتستغفر لله منية إليه راجعة إلى هديه الجليل. قال الله عز وجل:

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقُوا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبَصِّرُونَ﴾ وتنذر قبل أن يتسع الخرق على الراقع وتندم ولات ساعة الندم.

ويقى ميزانها الحساس للتقى والصلاح: مراقبة الله في السر والعلن. وتقوى القلوب قبل تقوى الجوارح.

فالتقى والعمل الصالح هو الميزان. وله الأولوية القصوى عند المؤمن.

فقد جاء في الحديث الصحيح فيما رواه الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم».

ثم إن تقوى الله ثلاثة مراتب كما ذكر ابن القيم رحمه الله.^(٢)

إحداها: حمية القلب والجوارح عن الآثام والمحرمات.

والثانية: حميتها عن المكرورهات.

والثالثة: الحمية عن الفضول، وما لا يعني.

فالأخلي: تعطى العبد حياته، والثانية تفيد صحته وقوته، والثالثة، تكسبه

(١) الآية ٢٩، من سورة الأنفال.

(٢) الفوائد: ٣٢، لابن القيم، نشر مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

سروره وفرحته).^(١)

فإذا وضح ذلك ووضع في الحسبان، استطاعت المسلمة أن ترتب أولوياتها لتكون من التقييات ذوات القلوب الراضية المنشرة ما استطاعت إلى ذلك سيلأ.

• • •

أوثق عرى الإيمان؛ الحب في الله والبغض في الله:

المسلمة التقية تحاسب نفسها، وتراقب الله تعالى حتى في عواطفها. وتتبعد الله في ذلك. ذلك أن (حقيقة التوحيد أن لا يحب المرء إلا لله. يحب ما يحبه الله، فلا يحب إلا لله ولا يبغض إلا لله).

قال الله تعالى: **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يَحِبُّونَهُمْ كَحْبَ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُ حَبًّا لِلَّهِ﴾**.

والفرق ثابت بين الحب لله والحب مع الله. فأهل التوحيد والإخلاص يحبون غير الله لله. والمشرون يحبون غير الله مع الله. كحب المشركين لآلهتهم، وحب النصارى للمسيح، وحب أهل الأهواء رؤوسهم).^(٢)

أما المبالغة في الحب سواء حب الزوج أو الولد أو غيره... والذي قد تبذل له بعض الجاهلات من عقيدتهن وإيمانهن. فذلك قد يصل إلى الشرك.

والمؤمنة الصادقة تجعل من الشريعة الميزان الدقيق، وتجعل هواها تبعاً للشارع الحكيم، وهيئات هيئات أن ترض بالدونية، وتترك ما هو الأولى **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾**

١) الفوائد، ٣٤.

٢) التماري، ٤٦٥/١٠.

أشد حباً لله^(١). كيف والبعض قد تبذل من إيمانها حرضاً على محبة زوجها لها، تذهب للعرافين فتختسر الدنيا والآخرة لأن: «من أتى عرافةً فسألها عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»^(٢).

- نحب الرسول صلى الله عليه وسلم القائل: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين» متفق عليه. ونؤمن أنه عبد الله ورسوله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله. نحبه محبة تدعونا إلى طاعته كما قال الله تعالى:

﴿فَلَمَّا كُتِمَ تَحْبُونَ اللَّهَ فَاتَّبَعُونِي يَحِبِّيكُمُ اللَّهُ﴾.

- إن محبة الله تقتضي إثارة محاب الله على محاب العبد. فيحب الصالحين ويحرص على مجالستهم.

ورحم الله الحسن البصري إذ قال: إخواننا أحب إلينا من أهلنا وأولادنا. فإن أهلنا يذكروننا بالدنيا، وإن إخواننا يذكروننا بالآخرة و«لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى يحب المرء لا يحبه إلا لله».

* * *

- والمؤمنة كما تكره الكفر فإنها تكره أهلها وأهل البدع وتكره مصاحبتهن. فإن من لم ينكر الشرك ويعادي أهله فليس بمؤمن. فلتتضرر من تدعى حب الله تعالى، ما الذي تركه من محاب نفسها لأجل الله. فذلك من أولويات المؤمنة.

- كما أنها تحافظ في مصاحبة من تعمل المنكر، ولا توادها، ولا تخالطها إلا لدلائلها على المعروف - إن استطاعت - حتى وإن كانت من القرىات لها.

١) البقرة، الآية ١٦٥.

٢) رواه سلم وأحمد، ينظر صحيح الجامع الصنف، ١٠٣١/٢.

ولتذكر ما روتته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس. ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس». (١)
وهكذا... توازن بين العقل والعاطفة. فتعمل ما يرضي ربها، ولو على حساب رغباتها، وتجاهد نفسها ليصبح هواها تبعاً لما جاء به الشرع.

ما يهذب نفسها فتصبح طيبة لأوامر الله. ويتجنبها المشاكل التي تسببها صحبة غير المؤمنين الأتقياء من محارمها، والمؤمنات ذوات الخلق والدين. فالخالة إذا كانت على غير مصلحة الاثنين كانت عاقبتها عداوة كما قال ابن تيمية رحمة الله.

وقال طاووس: ما اجتمع رجالن على غير ذات الله إلا تفرقوا عن تعال). (٢)

• • •

- والله تعالى رحيم لم يكلفنا ما يجهدنا، ودعاؤنا أبداً هررنا لا تتكلفنا ما لا طاقة لنا به...
•

أما أن تكون المرأة هائمة بلا غاية، تعمل ولا تدرى لماذا؟
تقلد الآخريات ليس إلا، فما ذلك إلا خلل في التصور!
إذا كان غيري في تفاهة... فلن أكون مثلها، أنصحها ولا تركتها وشأنها...
فلنحزم الأمر... ونتوكل على الله.
فليس أقل من أن أعرف ماذا أريد ولماذا أريده! وما غايتي في الحياة؟ وسمو
غايتها يتطلب منها الكثير... فلنعمل دون كلل ولا ملل...
ولنتوكل على الله، ولنأخذ بالأسباب، فهو حسبنا ونعم الوكيل.

(١) أترجه الترمذى وصحح الألبانى، ينظر صحيح الجامع الصغير، ١٠٥٢/٢.

(٢) التمارى، ١٢٨/١٥ لابن تيمية.

المبحث الثاني العلم وأولوياته..

إنه صدقة الأنبياء وورثتهم. ففي الأثر نعمة العطية ونعمه الهدية الكلمة من الحسن يسمعها الرجل ثم يهدى بها إلى أخي له.^(١)

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: مجلس فقه خير من عبادة ستين سنة. وعن سفيان الثوري والشافعي (رحمهما الله): ليس بعد الفرائض أفضل من طلب العلم.^(٢)

فالاشتغال بالعلم لله أفضل من نوافل العبادات البدنية من صلاة وصيام وتسبيح ودعاء وتحمّل ذلك. لأن نفع العلم يعم صاحبه والناس. والنوافل البدنية مقصورة على صاحبها. ولأن نفع العلم مصحح لغيره من العبادات، فهي تفتقر إليه وتتوقف عليه، ولا يتوقف هو عليها. ولأن العلماء ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والتسليم، وليس ذلك للمتعبدين. ولأن طاعة العالم واجبة على غيره فيه. ولأن العلم يبقى أثراه بعد موته صاحبه، وغيره من النوافل تنتهي بموته صاحبها.

ولأن في بقاء العلم إحياء الشريعة وحفظ معالم الملة.^(٣)

وكان يقال: إذا التقى الرجل بالرجل فوقه في العلم فهو يوم غنيمة. وإذا لقي من هو مثله، دارسه وتعلم منه. وإذا لقي من هو دونه تواضع له وعلمه.

والمدارس ليست الوسيلة الوحيدة للتعلم في الإسلام. فيحرم منه من حرم المدارس... فآمهمات المؤمنين وسلفنا من الصالحات ما تخرج من مدرسة ولا جامعة، ولكن ما قصر ذلك عن أن ينهلن من ينابيع العلوم والمعرفة...

(١) مجمع الفتاوى لابن تيمية، ٢١٢/١٤.

(٢-٣) تذكرة السامع والمحكم في أدب العالم والمتعلم، ٣٦-٣٧، لابن جماعة الكجاني، تحقيق السيد محمد هاشم الندوى، ط٢، ١٤١٦هـ، نشر الرمادي، الدمام، والمؤمن، الرياض.

أما حالنا في كثير من بلاد الإسلام فإنه يدعو للأسى والأسف. فالجهل يضرب أطنابه حتى في أمور الدين فضلاً عن العلوم الدنيوية!

• لكن أي علم ندعو المرأة إلى طلبه؟
أهو العلم الشرعي والاقتصار عليه؟
أم الاقتصار على العلم العصري التمثيل بالشهادات والدرجات العلمية المختلفة؟!

والصحيح أن المقصود أي علم يؤهل المرأة لمواجهة تحديات العصر المختلفة.
فتسلح بألوان الثقافة مما يهمها كمسلمة تهتم بأمر المسلمين...
- تهتم بالثقافة التربوية، مما يعينها على رعاية أبنائها - ولا سيما للأم المبتدئة - وإلا فشلت في حل مشكلاتها الأسرية والتربوية.
- تتزود من العلم فيما يهم مهنتها إن كانت معلمة أو طبيبة... فضلاً عن مهمتها كمسلمة داعية تشبع تطلعات من تخالطهن. لأنها لن تستطيع التأثير فيهن إلا إذا وجدن فيها ضالتهم المنشودة، لتملا الفراغ الروحي والفكري الذي في نفوسهن، وتجيب عن تساؤلاتهن، وتتفعهن في أمور الدين والدنيا...
إذا علمنا ما تعلمه قوى الشر حيث تقف مجتمعة لمحابيها هذا الدين وأهله، وراقبنا عن كثب تفتقها في وسائل مقاومته، وابتكرها الطريقة تلو الطريقة لتبقى الأجيال - شباباً وشابات - في معزل عن مفاهيم دينهم، أو لتشويه صورته الناصعة في أعينهم...
أدركتنا أن نشاط أعدائنا لحربنا لا يعطينا سيراً إلى الركود والسلبية كما هو شأن البعض. فالهجمة الشرسة لا تصدّها الانهزامية).^(١)

١) مجالات المرأة الدعورية، ص ٥٦، تأليف: خولة دروش، نشر دار الحميدي، جدة، ط ١.

ورضي الله عن الإمام أحمد إذ قال: الناس إلى العلم أحوج منهم إلى الطعام والشراب، لأن الرجل يحتاج إلى الطعام والشراب في اليوم مرة أو مرتين، وحاجته إلى العلم بعدد أنفاسه.

وعن الشافعي رضي الله عنه قال: طلب العلم أفضل من صلاة النافلة. ومفضى على ذلك أبوحنيفة رضي الله عنه.

وقال ابن وهب: كنت بين يدي مالك رضي الله عنه، فوضعت الواحي وقمت أصلقي فقال:

«ما الذي قمت إليه بأفضل مما قمت عنه». (١)

هذه آراء أئمتنا الأعلام، فعلام نهمل جانب تعليمنا ونرکن إلى الدعوة والحمول؟! إن علينا أن تكون على مستوى المسؤولية. فأعداؤنا يتربصون بنا وقد تركنا أولوياتنا!

فهذا مؤسس شبكة (سي.إن.إن) الإخبارية الأمريكية (تيد ترنر) قرر أكثر من (٥,٥) مليون دولار لتمويل مشروع لتربيبة الطالبات في موريتانيا. والمشروع يهدف إلى الحصول دون عزوفهن عن الدراسة ووضع حد لتسريحهن في مرحلة التعليم الثانوي). (٢)

فلماذا نفسح المجال لهم كي يستفيدوا من تقصيرنا لسد ثغرة طلما دخلوا منها، واستغلوها شر استغلال لضرب حضورنا من داخلها؟!

ولا زالت أساليبهم الماكرة تستغل العلم... ولا زالت دعواتهم للانفتاح والتسيب باسم (العلم الذي يفهمونه) تلاحق المسلمات في كل مكان!!

(١) تهذيب مدارج السالكين ٤٨٥، كتب الإمام ابن القيم رحمة الله، وذهبه عبد المنعم صالح العزي، نشر دار السوادي، جدة، ط١، ١٤١٢هـ.

(٢) الاتحاد، العدد ٣٢٩/٣، ١٤٢٢هـ.

- والعلوم الخمودة قسمان:

الأول: محمود إلى أقصى غاياته وكلما كثر كان أحسن وأفضل، وهو العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وحكمته في ترتيب الآخرة على الدنيا.
والثاني: العلوم التي لا يحمد منها إلا مقدار مخصوص وهي من فروض الكفايات.

والتقي من يستغل بما يصلح نفسه قبل غيره، ويستغل بإصلاح باطنها وتطهيره من الصفات الذميمة قبل إصلاح الظاهر. ومن ثم يستغل بفرض الكفايات...
وإلا فإن مهلك نفسه في طلب صلاح غيره سفيه. ومثله مثل من دخلت العقارب تحت ثيابه وهو يذب الذباب عن غيره).^(٤)

• (نواح) نالت من العلم الدنيوي درجة لا يأس بها. فكانت طبيبة بارعة في مهنتها، تقول إنها تعمل ذلك ابتغاء الأجر عند الله تعالى. أما في واقع الأمر فكانت لا تtower عن زيارة الأضرحة تقرباً لها! تمسح بقبور «الأولياء» وتتوسل بهم، وتظن أن ذلك يرفع درجتها ويعلي منزلتها عند الله!
أو ليس أول واجباتها تنقية عقيدتها من الشرك لتكون حركاتها وسكناتها لله وحده لا شريك له؟!

فأي علم أفادت وهي لم تتعلم ما تحفظ به دينها وإيمانها؟
وحسبنا القرآن شفاء، وهدى الرسول صلى الله عليه وسلم ضياءً (يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهدى لهم إلى صراط مستقيم).^(٢)
فأعلى الهم في طلب العلم طلب علم الكتاب والسنة، والفهم عن الله

١) مختصر منهاج القاصدين، ص ٢٠.

٢) سورة المائدة، الآية ١٦.

رسوله نفس المراد، وعلم حدود النزول. وأحسن هم طلاب العلم من قصر همته على تبع شواذ المسائل ما لم يتنزل ولا هو واقع، أو كانت همته معرفة الاختلاف وتتبع أقوال الناس، وليس له همة إلى معرفة الصحيح منها، وقل أن ينتفع واحد من هؤلاء بعلمه).^(١)

فطالب العلم يستدئ أولًا بكتاب الله العزيز فيتقنه حفظاً، ويجهد على إتقان غيره... فإنه أصل العلوم وأهمها وأهمها...

ولا يشتغل بعلم عن دراسة القرآن وتعهده، ولمازمه ورده منه في كل يوم أو أيام أو جمعة. وليس بمن نسياته بعد حفظه. فقد ورد فيه أحاديث توجر عنه).^(٢)

تقرأ المسلمة الصالحة القرآن الكريم بتدبر وتفهم، مما يبعث على الطمأنينة فلا تزال معاني القرآن الكريم تنهض العبد إلى ربه بالوعود الجميل، وتحذر وتخوفه بوعيده من العذاب الوبييل، وتهديه في ظلم الآراء والمذاهب إلى سواء السبيل، وتصده عن اقتحام طرق البدع والأضاليل. وتبعه على الأزيد من النعم بشكر ربها الجليل. وتبصره بحدود الحلال والحرام وتوقفه عليها لثلا يتعداها فيقع في العناء الطويل. وتثبت قلبها عن الزيف والميل عن الحق والتحول. وتسهل عليه الأمور الصعب والعقيبات الشاقة غاية التسهيل. وتناديه كلما فترت عزماه وونى في سيره: تقدم الركب وفاتك الدليل.

فالللحاق اللحاق، والرحيل الرحيل. وتحدو به وتسير أمامه سير العليل. وكلما خرج عليه كمين من كمائن العدى أو قاطع من قطاع الطريق نادته: الحذر الحذر!! فاعتتصم بالله واستعن به، وقل حسبي الله ونعم الوكيل.

(١) الفوائد ٦١.

(٢) تذكرة السادس والستمائة ١٦٨ لابن جماعة الكتاني.

وفي تأويل القرآن وتديره وتفهمه أضعاف أضعاف ما ذكرنا من الحكم والقواعد.^(١)

وهكذا لا يكون الحفظ على حساب الفهم، فال الأولوية للفهم لأن ذلك سبيل للعمل والاستجابة. ويكون همنا مع الحفظ الفهم والتدبر، لا الاستكثار فحسب، وإنما كان كالنخالة كثيرة وعديمة الفائدة. ولما للمشاركة من أثر فعال، ولما للجماعات من تحفيز لأفرادها. فإنه يحسن الاتماء لحلقات تحفيظ القرآن.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا يقدر قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده».^(٢)

وفي ذلك الجمع المبارك تلقي الدراسة من التشجيع للحفظ والفهم، مع المراجعة الدائمة لما تم حفظه حتى تجيده تماماً وتتقنه ولا تنساه بإذن الله. فذلك كله مما يساعد على الحفظ وعلى المداومة والاستمرارية. ولا تنسى الإخلاص لله تعالى وحسن النية في طلب العلم:

(فالعلم عبادة من العبادات وقربة من القربات، فإن خلصت فيه النية قبل وزها ونمط بركته. وإن قصد به غير وجه الله تعالى حبط وضاع وخسرت صدقته. وربما تفوت طالب العلم تلك المقاصد ولا ينالها، فيخيب قصده ويضيع سعيه).^(٣)

وبحسن النية، ينشرح الصدر، وتعلو الدرجات، هذا إذا قُصد بالعلم الله والدار الآخرة. أما إذا كان ال باعث عليه الحرص على التزين في المجالس، والذكر

١) تهذيب مدارج السالكين، ص ١١٤.

٢) أخرجه الإمام أحمد ومسلم، ينظر صحيح الجامع الصغير، ١٢٨١/٢.

٣) تذكرة السابع والشكل في آداب العالم والمتعلم، ١١٤.

يأنه عالم. فذلك أول من تسجر به النار يوم القيمة.

كما أنه على المتعلم أن يكون ذا همة عالية في طلب العلم فلا يكتفي بقليل العلم مع إمكان كثيرة. ولا يقنع من ميراث الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم بيسيره، ولا يؤخر تحصيل فائدة تكمن منها أو يشغلها الأمل والتسويف عنها. فإن للتأخير آفات، ولأنه إذا حصلها في الزمن الحاضر حصل في الزمن الثاني غيرها. ويفتتم وقت فراغه ونشاطه، وزمن عافيته وشرخ شبابه، ونباهة خاطره، وقلة شواغله، مثل عوارض البطالة أو موانع الرئاسة.^(١)

وبالجد والصبر والمصايرة على طلب العلم يحصل المقصود بإذن الله. فالشيخ الألباني رحمه الله: تحول من عامل لإصلاح الساعات إلى محدث للعالم الإسلامي، تستفيد من علمه أجيال وأجيال. وأحمد ديدات: كان يعمل صبياً عند بقال، وتحول إلى واحد من أشهر مناظري القرن العشرين ودعاته. وذلك حينما تعلم وصبر على العلم، يحدوه الإخلاص لله تعالى والشعور بالحاجة للمناظرة لأن حانوته كان على مقربة من جامعة اللاهوت الكاثوليكية.

والمرأة العاقلة تتعلم من أي مصدر مشروع ومتاح، تتعلم من الكتب، من الأشرطة السمعية أو البصرية لمن لا تعرف القراءة، من الكمبيوتر ... بل تتعلم من خططنا وصوابنا فلا نعاود الخطأ ثانية... .

أما إن اختلط التعليم بالحرام فسد الذرائع أولى: كأن تكون مشاهدة القنوات الفضائية إحدى وسائل التعلم، إلا أن السلوكيات المنحرفة والمجون الذي قد يخلل البرامج يجعل المصلحة الراجحة تكمن في ترك مشاهدتها سداً للذرائع.

(١) تذكرة السابع والكلام في أدب العالم والمتعلم: ص ١٩٠.

فبعد طلب العلم يجب البعد عن أسباب الغواية بشتى صورها، لتعيش
المسلمة حياة طهر ونبلًاً وسموًاً، وصدق الله العظيم: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ
وَالْفُؤُادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا﴾.

- تعلم الأهم فالمهم لأمور ديننا ودنيانا: وإذا تعددت الدروس قدم الأشرف فالأشرف والأهم فالأهم: فيقدم تفسير القرآن ثم الحديث ثم أصول الدين ثم أصول الفقه ثم المذهب ثم الخلاف أو النحو أو الجدل...^(١)

فيجب شغل الفكر بما ينفع من العلوم، وما يلزم من التوحيد وحقوقه وما يكون زاداً لما بعد الموت، وما يؤدي إلى دخول الجنة والبعد عن النار، والتعرف إلى آفات الأعمال وطرق التحرز منها... .

قال شقيق بن إبراهيم: أغلق باب التوفيق عن الخلق من ستة أشياء: اشتغالهم بالنعمه عن شكرها، ورغبتهم في العلم وتركهم العمل.
والمسارعة إلى الذنب وتأخير التوبة، والاغترار بصحة الصالحين، وترك الاقتداء بفعالهم، وإدبار الدنيا وهم يتبعونها، وإقبال الآخرة عليهم وهم معرضون عنها. (٢)

أما ما نجده اليوم- وفي المجتمع النسائي خاصية- أن حاملة الشهادة العليا وقد تزين اسمها بحرف (د) ومع ذلك قد نجدها -للأسف- ربما تجهل أبسط أمور الفقه التي تهمها كمسلمة تخرس على صحة عبادتها...
قد تجهل أمور الطهارة، وفقه العبادات، وما يهم المرأة من العدة وما فيها من
أحكام...

١) تذكرة السام و المتعلم، ٧١.

٢) الغواند/ ١٧٧، تأليف شمس الدين ابن قيم الجوزية، نشر مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

وهنالك أمثلة كثيرة حول هذا التقصير:

(س) شابة أنهت الدراسة الثانوية، وجدت أنه لا بد لها من الاستفادة من وقتها... وهذا أمر حسن، لكن ماذا فعلت؟ لقد سجلت في دورة لتعلم المكياج وأصول التجميل!

أين منها تعلم أمور دينها والتفقه فيها؟!

علام تبحث عما لا يضرها جهلها، وتترك ما يجب عليها علمه؟

أما إنها لو طبقت الأولويات في حياتها لسعت إلى التفقه في الدين أولاً، ومن ثم توازن بين طلب العلم والعبادات والتطوعية. ومن ثم تل嫁اً إلى التحسينات...
(ع) كانت طالبة تسهر الليالي للدراسة والحفظ الجيد، وذلك لنيل الشهادة العلمية. وإن بقي فضلها من الوقت في الإجازة الصيفية، قضته في تعلم اللغة الأجنبية... وهي التي تجهل واجبات الصلة، بل لا تعرف أركان الإيمان!

أو ليست تلك المعرفة أولى من الشهادة العلمية؟!

• أما إن كانت المرأة ذات صفة مهنية مثلاً كأن كانت طبيبة، معلمة، خياطة... فواجبها أن تتعلم ما يخصها في مهنتها وتنمي ثقافتها في ذلك... لا بد لها من تعزيز قدراتها المهنية لتعمل بكفاءة أكثر واقتدار أفضل كما أن من المختوم أن تعرف الأحكام الشرعية التي تلزمها...

وتتبخر في ذلك -بالشروط المشروعة (من عدم الاختلاط والخلوة...)- فقد يكون ذلك في حقها من فروض العين، وهو أولى من التبحر في فروض الكفاية...

وذلك حتى لا نبقى عالة على غيرنا لا سيما في الطلب النسوى، حتى لا نكاد نجد إلا الندرة من الطبييات المتدينات.

ورحم الله الإمام الشافعي إذ قال: لا أعلم علمأً بعد الحلال والحرام أ nobel من الطلب، إلا أن أهل الكتاب قد غلبونا عليه!

فلا يصح أن تدفن الكفاءات تحت ركام الكسل. ولا أن تعيش المسلمة بسذاجة فكر وسطحية معلومات. بل يجب أن تنمو الموهب وتوجه الطاقات. فتبحث المرأة عن العلم النافع المقيد، ولا تذهب العمر في أمور لافائدة منها أو يتعدى أن تتقنها:

فلا تكون الأزياء وتقليلات الموضة هي أولوياتها كشأن بعض النساء لفلا تزال إلى حضيض التقليد.

وماذا عساه أن يفيدها متابعة آخر صيحات «الرجيم» لتنزل بضع غرامات من وزنها الذي أثقله الترهل والترف؟!

وماذا ينفعها لو تعلمت الغرائب والعجائب في القديم أو الحديث؟! هلا انتفعت بذلك أنها ونباهتها فتعلمت ما به تدب عن السنة وتوضح العلم الشرعي وذلك بتعليم غيرها العلوم النافعة وزادها في ذلك إنما هو العلم والتعمر فيه فالباهر لا يصلح أن يكون معلماً.

وبهذا العلم الوعي نتمكن من «فلترة» ما يأتينا من معلومات من الشرق الملحد أو الغرب الكافر. فلا يتحكم أعداؤنا في ثقافتنا، وبوعينا الرشيد نرد عليهم ترهاتهم وأباطيلهم.

فالصالحة دائمًا عالمة و المتعلمة، ولها في نساء السلف قدوة صالحة: عن أم المؤمنين «عائشة» رضي الله عنها قالت: نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياة من التفقه في الدين» متفق عليه.

• وليس من الأولويات تقديم مصالح الدنيا على ما نقدمه للآخرة: فلا يصح اعتبار مصلحة دنيوية تخل بمصالح الآخرة. فمعلوم أن ما يدخل بمصالح الآخرة غير موافق لقصد الشارع ، فكان باطلأ.^(١)

(١) المواقف للإمام الشاطئي، ٣٨٧/١

فلو أرادت امرأة تكملة علومها، ونيل درجات علمية دون إذن ولديها، أو أرادت الامتناع عن الزواج لتكميله العلم، لأنها ترى أن فيه مشغلاً بسبب الانغماس في أعباء الحياة الأسرية، فذلك غير جائز. لأن الزواج سنة المرسلين. وديننا ينهى عن الرهبانية. ولو أرادت العلم - ولو كان ذلك هو العلم الديني - وكان على حساب سترها أو الخلوة مع السائق أو السفر دون محرم، فلا يحل لها ذلك. لا يحل لها أن تعيش باسم العلم في أجواء الضياع والمهانة والتهاون.

فالتعليم إذا لم يقترب بالإيمان فإنه يكون شرًّا على صاحبته ولن يجعل لها إلا الكبر والغرور ومن ثم الفشل.

لأن آفة العلم عدم مطابقته لمراد الله الديني الذي يحبه الله ويرضاه. وذلك يكون من فساد العلم تارة ومن فساد الإرادة تارة أخرى.

فساده من جهة العلم، أن يعتقد أنه يقربه إلى الله وإن لم يكن مشروعًا وأما فساده من جهة القصد فأن لا يقصد به وجه الله والدار الآخرة بل يقصد به الدنيا والخلق.

وهاتان الآفتان في العلم والعمل لا سبيل إلى السلامة منها إلا بمعرفة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم في باب العلم والمعرفة، وإرادة وجه الله والدار الآخرة في باب القصد والإرادة).^(١)

• الأولويات في طريقة التعلم:

لقد نبه الإمام الشاطئي رحمة الله إلى القواعد الأساسية لطرق التعليم التي يتبعها الناس في أيامنا هذه. وأول ما يبدأ من ذلك أن يضع هذه القاعدة: البدء بالبسيط من المعرفة قبل المركب فيقول:

(١) الفوائد لابن القيم، رحمة الله، ٨٥.

ولا يذكر للمبتدئ من خط المتهي من العلم. بل يرى الصغار بصغر العلم قبل كباره، ثم ينتقل إلى قاعدة أخرى هي ما نسميه بقاعدة البدء بالسهل قبل الصعب. وهي مكملة لقاعدة السابقة. ويقول فيها: لا يعلم الغرائب إلا بعد إحكام الأصول.

ويبيه إلى أن مخالفة هذه القاعدة تؤدي بالتعلم إلى التفور من العلم أو إلى الواقع في الخطأ بسبب سوء الفهم.

والواقع أن الظن يتوجه بكثير من رجال التربية اليوم، إلى أن هاتين القاعدتين من إنتاج الفكر التربوي المعاصر، لو لا هذه النصوص التي ثبت أنها من تراث الإسلام).^(١)

وهكذا، فالمرأة التي نريد:

تعي ثقافتها في الأمور الدينية، وتفقه ولا سيما في الأمور التي تخص الأسرة، ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، على أن لا يكون ذلك على حساب العقيدة. وتحتاج لمعرفة الأمور الحياتية التي تفيدها كأم ل التربية أولادها، أو كزوجة للتعامل مع الزوج وأهله، أو تعلم الفنون المنزلية وذلك لزيادة كفاءة ربة المنزل، والارتقاء بالحياة الأسرية.

ولتعزيز قدراتها المهنية - إن كانت ذات مهنة - وذلك في حدود الشرع الخيني وعدم تجاوزها.

وبتعليم المرأة، مريحة الأجيال:

نكون قد مشينا خطوة إلى تقدم المسلمين ليعدوا أستاذة للبشرية لا تلامذة. وأن يصبحوا سادة وقادة لا عالة، وبناءً مجد، وصانعي حضارة لا مستهلكي مخلفات الحضارة!

(١) الشاطبي ومقاصد الشريعة، ٢٥٧.

المبحث الثالث العمل الصالح

العبادة والعمل الصالح هو التطبيق الفعلي للعلم النافع. فكل علم يراد للعمل به، ولا قيمة له دون العمل.

وقد مثل الغزالى،^(١) رحمة الله، مَن يتعلم العلم ولا يعمل به، كمثل المريض الذي به علة لا يزيلها إلا دواء مركب من أخلاط كثيرة لا يعرفها إلا حذاق الأطباء...

وسعى في طلب الطيب، ولما عثر عليه وعلمه كيفية الدواء، كتب منه نسخة حسنة، بخط حسن، ورجع إلى بيته وهو يكررها، ويعلّمها المرضى... ولم يستغل بشربها واستعمالها...

أفترى يغنى ذلك عنه من مرضه شيئاً؟! هيئات هيئات!^(٢) ولو نفع العلم بلا عمل لما ذم الله تعالى أخبار أهل الكتاب بقوله عزوجل: **﴿مَنْ لِمَنْ حَمَلَوا التَّوَارِثَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمْثَلَ الْحَمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارَهُ﴾**.

وقد قال الحسن البصري، رحمة الله: أنزل القرآن ليعمل به، فاتخذ الناس تلاوته عملاً، يعني أنهم اقتصروا على التلاوة وتركوا العمل به.^(٣)

ومن علامات السعادة والفلاح: أن العبد كلما زيد في علمه زيد في تواضعه ورحمته، وكلما زيد في عمله زيد في خوفه وحذر و كلما نقص في عمره نقص من حرصه. وكلما زيد في ماله زيد في سخائه وبناته، وكلما زيد في قدره وجاهه زيد في قربه من الناس وقضاء حوائجهم.^(٤)

١) إحياء علوم الدين، ٦٠١/٣.

٢) تلبيس إيليس لابن الجوزي، ١٣٠.

٣) الفوائد/ ١٥٥.

شروط قبول العمل الصالح:

ليست العبرة في العمل الذي يظهر على الجوارح من الأقوال والأعمال الصالحة -على جلالها- فالمتافقون يظهرون بجوار حهم الأعمال الصالحة، وعقابهم أنهم في الدرك الأسفل من النار لما في قلوبهم من الأمراض.

• فلا بد من إخلاص النية لله في أعمالنا كلها..

أما العمل ولو كان ظاهره صالحاً، إذا كان للهرب من المشاكل مثلاً، أو بعد الفشل من الحياة، ليحصل على السلوى في عمله، فذلك ليس العمل المقصود شرعاً.

ومن تكرم الضيوف وتفعل ذلك لا قياماً بواجبها الشرعي في إكرام الضيف، وإنما تفعله للمظاهر، وحتى لا يجد التقصير من أهل البيت فهي قد تكون مأذورة لا مأجورة رغم ظاهر عملها.

• ومن ثم المداومة على العمل الصالح لا أن نعمل لفترة وجيزة ثم نترك. فلقد سئل الرسول صلى الله عليه وسلم: أي العمل أحب إلى الله؟! قال: «أدومه وإن قل». ^(١)

• قال الإمام الترمذى رحمه الله: في الحديث الحث على المداومة على العمل وأن قليله الدائم خير من كثير ينقطع. وإنما كان القليل الدائم خيراً من الكثير المنقطع، لأنه بدوره القليل تدوم الطاعة والذكر والمراقبة والنية والإخلاص، والإقبال على الخالق سبحانه وتعالى، ويشرم القليل الدائم بحيث يزيد على الكثير المنقطع أضعافاً كثيرة. ^(٢)

فالصالحة لا تتوقف عن إتمام عمل صالح بدأت به: كأن تبدأ بحفظ كتاب الله تعالى أو بقراءة كتاب فقهي مثلاً - أو قيام الليل، أو أداء سنة الضحي، أو

١) رواه الإمام مسلم عن عائشة رضي الله عنها في كتاب صلاة المسافر (باب فضيلة العمل الدائم).

٢) شرح صحيح مسلم للإمام الترمذى، ٧١/٧.

الدعوة إلى الله عزوجل...
لا تنشغل عنها، ولا تعزل بالأعذار لتهرب من الأعمال الصالحة بل تداوم
عليها.

• ولا بد من اتقان العمل:
فالنوعية الجيدة مطلوبة حتى في أمور العبادات، ولا تقل أهميتها عن الكمية.
فلا بد من الاهتمام بجودة العمل.
وقد جاء في الحديث الشريف: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن
يتقنه».^(١)

• كما أنه يجب التقيد بالنص الشرعي في كل أعمالنا وعبادتنا:
عن أبي ثعلبة الخشنبي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال: «إن الله فرض فرائض فلا تضيئوها. وحرم أشياء فلا تنتهكوها وسكت
عن أشياء رحمة بكم من غير نسيان فلا تبحثوا عنها».^(٢)
وعن سفيان قال: (لا يقبل قول إلا بعمل، ولا يستقيم قول وعمل إلا بنية،
ولا يستقيم قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة).

وعن أبي بن كعب وغيره: (اقتصاد في سنة خير من اجتهد في بدعة).^(٣)
وما ذاك إلا محافظة على أمة الإسلام حتى لا يتفرق أبناؤها شيئاً وأحزاباً،
ومحافظة على التحام المجموعة صفاً واحداً.

والبدعة كما ذكر الإمام الشاطبي هي: طريقة في الدين مخترعة تضاهي
الشريعة، ويقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه.^(٤)

١) رواه البيهقي عن عائشة وقال الألباني حديث حسن، ينظر صحيح الجامع الصغير، ٣٨٣/١.

٢) حديث حسن رواه العلامة وغيرة، ينظر جامع العلوم والحكم، ٢٧٥.

٣) مجمع الفتاوى لابن تيمية رحمة الله، ٢٩٣/١٠.

٤) الأعصم، ١/٥٠ للشاطبي.

فالخوارج قد غلوا في العبادات بلا فقه فأآل الأمر بهم إلى البدع فقال الرسول صلى الله عليه وسلم عنهم: «يمرون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية. أينما وجدتوكوهم فاقتلوهم. فإن في قتلهم أجراً عند الله لمن قتلهم يوم القيمة. فإنهم قد استحلوا دماء المسلمين وكفروا من خالفهم».^(١)

وما يحسن التنبية إليه: أن العادات والمعاملات لا تدخلها البدعة إلا من حيث التبعد وقصد التقرب ...

مثال ذلك: إن ترك أكل اللحم.. فعل عادي جائز ولكنه يكون بدعة إذا ظن التارك له أن تركه قربة يحبها الله ورسوله.

وكذلك ترك النكاح فعل عادي، ولكنه يكون بدعة إذا قصد تاركه بالترك التبعد والتقرب لله سبحانه وتعالى.

وكذلك لبس الصوف مثلاً فعل عادي جائز، ولكنه يكون بدعة إذا قصد به صاحبه التقرب إلى الله والتبعد له بذلك).^(٢)

• • •

• آثار الطاعة والعمل الصالح:

- إنها تزكي القلب وتجلو صدأه: خلافاً للمعصية، فإنها تترك في القلب قساوة. ولقد قال عليه الصلاة والسلام: «إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة، فإذا هو استغفر وتاب ضقل قلبه، وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه، وهو الران الذي ذكره الله تعالى بقوله: ﴿كَلَا بْلَ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ. كَلَا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ لَمْ يَحْجُبُونَ. ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمَ﴾».^(٣)

(١) مجمع الفتاوى، ٣٩٢/١٠.

(٢) فراغ الرسائل، ٤٣٦.

(٣) بنظر مدارج السالكين، ١/ ٣٢٧ لابن القيم.

- ومن ذلك أن نتائج العمل تكون إيجابية: فالطاعة تعين على الطاعة. ولقد قال تعالى ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾. والتسابق للخير يجعل العمل الصالح همنا، ولا يشغلنا عنه شاغل. وتصبح الحياة أكثر ثراءً وأجل فائدة وبهاءً. والعمل والنشاط يدفع إلى الاستمرارية فيه على خلاف الكسل والاسترخاء والتسويف..

- ومن نتائج العمل الإيجابية: الراحة النفسية التي يحصلها العاملون وتحظى من تظن أن الرفاه والراحة هي الهدف من الحياة وأنها مجلبة للسعادة. فكم من المتقاعدين رغم سعة الحالة المادية، وكونهم دون عمل يذكر، لكنهم يعيشون بآفة وتعاسة.

أما من ابتدأ منهم بالعمل الجاد والعطاء، فتغير حاله حين استمر ملكاته، وقدم ما في وسعه. فشعر بالسعادة، وانبساط أساريره بعد الكدر! فلتتجرب المرأة التي يضيق صدرها من الأولاد ومن شغفهم... فإن تعليمهم، أو عمل حلوى لهم أو حتى اللعب أو التزهّة معهم... فإنها تساعد على الترويح واستعادة نشاطها وتحقيق الرضى النفسي لها.

• (ف) كانت تشكو وقد تزوج أولادها وخرجوا من بيتهما، أنها لا تجد عملاً ذاتيًّا لتعمله، فهي في تبرم وشكوى دائمين من الفراغ والضجر! فلماذا يا أختاه؟!

إن أمتك بحاجة إليك. فلا بد لكل منا من دور إيجابي فاعل. أما وأن الله سبحانه وتعالى قد قسم الأعمال كما قسم الأرزاق، فالواجب أن تنظر كل منا إلى مزاياها فتنميها، ولا تضن بها فيتتفق بها من حولها، ويستفيد من مواهيمها، حين تقوم بالأعمال الهامة والممكنة... بعيداً عن احتقار الذات والشعور بالصغار. لأن ذلك مما يثبط العمل ويقعد بالهمم.

• ما أفضل العبادات؟

العبادات التي يتقرب بها العبد إلى الله تعالى منها ما كان محبوباً لله ورسوله، مرضياً لله ورسوله. وهي إما واجب وإما مستحب كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال فيما يروي عن ربه تبارك تعالى: «ما تقرب إلى عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه. ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنواقل حتى أحبه. فإذا أحبته كثت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبقي يسمع وبي يبصر وبي يطش وبي يمشي. ولشن سأله لأعطيته، ولشن استعاذه لأعيذه. وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددني عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مسأته ولا بد له منه».^(١)

ولا عذر للمرء في التوانى عن الفرائض. فالبدار البدار... والعمل قبل فوات الأوان...

والطاعة كما ذكر الإمام الشاطئي -رحمه الله- إذا كانت تحقق مصلحة كبرى فهي ركن، وإن كانت تحقق مصلحة جزئية فهي نافلة.^(٢) وقد تعرض ابن القيم رحمه الله لختلف الآراء في أفضل العبادات، والراجح رأي طائفة: رأوا أن أفعى العبادات وأفضلها ما كان فيه نفع متعد، فرأوه أفضل من ذوي النفع القاصر.

ورأوا خدمة الفقراء، والاشتغال بمصالح الناس، وقضاء حوائجهم، ومساعدتهم بالمال والجاه والنفع أفضل، فتصدروا له، وعملوا عليه واحتجوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «اخلق كلهم عيال الله، وأحبهم إليه أنفعهم لعياله». رواه أبو يعلى.

(١) ينظر مجموع النتائج لابن تيمية، ٣٨٩/١٠.

(٢) المراقبات ٣٠٠/٢.

واحتجوا بأن عمل العابد قاصر على نفسه، وعمل النفاع متعد إلى الغير.
وأين أحدهما من الآخر؟!

ولهذا كان فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب...
واحتجوا أن صاحب العبادة إذا مات انقطع عمله، وصاحب النفع لا ينقطع
عمله ما دام نفعه الذي سعى إليه مستمراً بعده.

ولا يعني كون المسلمة امرأة، أن تصبح خاملة لا عاملة... اعتقاداً من فهم
البعض الخاطئ لقوله تعالى: ﴿وَقُرْنَ فِي بِيَوْتَكُنْ...﴾ أن تلزم المرأة بيتها فلا
تخرج منه أبداً!

بل إن المقصود أن الأصل هو القرار في البيت، والخروج هو حالة استثنائية،
لكنها غير منوعة، على أن لا تخل بشروط الحجاب.

ولقد ظلت المرأة المسلمة تقوم بدورها المنوط بها كما يليه عليها دينها خلال
العصور السالفة...

نشر العلم ليزكي، لأن زكاة العلم نشره، وتساهم في الدعوة إلى الله: فتلك
أم شُرِيك القرشية العامرية، بعدما أسلمت جعلت تدخل على نساء قريش سراً
فتدعوهن وترغبهن في الإسلام، حتى ظهر أمرها لأهل مكة. فأخذنوهن وقالوا لها:
لولا قومك لفعلنا بك و فعلنا ولكن سردىك إليهم...

قالت: فحملوني على بغير ليس تحتي شيء موطاً ولا غيره، ثم تركوني ثلاثة
لا يطعموني ولا يسقوني).^(١)

أما وإن الموازين قد اختلت، فأضحي غض الطرف عن الفساد يعتبر من
المكارم التي يمدح بها المقصرون. وأضحي البعض يذمون الدعاة الناصحين
والداعيات الناصحات تحت دعاوى كثيرة من اتهامهم بالفضول إلى غير ذلك...

(١) الإصابة، ج ٤، ص ٤٤٦ لابن حجر.

فما ذاك إلا للبعد عن فهم هذا الدين.
فلقد حثّ الرسول صلى الله عليه وسلم على نشر العلم والدعوة إلى الله
بقوله:

«نصر الله عبداً سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأدعاها فرب حامل فقه غير
فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه». (١)
ألا ليتنا أمعنا النظر كيف ساد الأولي؟!

لقد سادوا بالعقيدة أولاً ومن ثم بالعمل الصالح والدعوة إلى الله.
فلا يحل للمؤمنة أن تسكت سكوت من في القبور في مجال يجب عليها
الصداع بالحق. وحربي بها أن تستفيد من الإمكانيات المتاحة في عصر العولمة
الدخيلة لتساهم بإزالة اللبس عن صورة الإسلام الصافية التي يريد الأعداء
تشويهها.

إننا إذا قلنا العمل، لا يعني ذلك العمل الوظيفي الراتب، اللهم إلا إذا كان
ذلك العمل من فروض العين، أي مما لا يستغني عنه كالتطهير للنساء أو الخياطة
لهن أو تعليمهن (مثلاً).

وإلا فإن تعارضت الواجبات فلا بد من الأولويات:
فقد يكون على الأسرة من الأعباء المالية ما يحتم على المرأة أن تستعمل
مهاراتها، وتعمل لتزيد من موارد الأسرة، ولتساهم في تلبية حاجاتها الأساسية.
وذلك أجر ساقه الله للمرأة، على أن لا يشغلها ذلك عن أمر الله به، ولا
يعرضها لمحظور شرعي من اختلاط ونحو ذلك - أو إخلال بالواجبات
الأسرية...»

ولا شك أن النافع لغيره أكثر فضلاً من القائم بنفل العبادات، كالذاكر

(١) أخرجه الترمذى وقال حسن صحيح، ينظر شرح السنة، ٢٣٦/١

بالأوراد مثلاً.

* فلو فرضنا أن امرأة عاملة وبالشروط الشرعية تعمل وتكسب لتعول أمها الأرملة وأخواتها الأيتام ...

هل يقال لها: الزمني بيتك، وترغبي لأعمال المنزل وهي التي لا يضر عملها بمسؤoliاتها الأسرية؟! ولا يعيقها عن حياة الطهر والعفاف؟!

وفي العمل إغفاء لها عن حاجة الناس. ولا تبقى أسرتها عالة على الآخرين. فهنا إن لم يجب عليها العمل، فهو على الأقل يستحب، فذلك أولى من السؤال، واليد العليا خير من اليد السفلية.

فالواجب عند الموازنة والاختيار لمعرفة الأولى في أداء الواجبات: تقديم أعظمها مصلحة وأكثرها نفعاً.

وإذا تراكمت الواجبات لا تهزم وتركتها مهملة لها، مولية وجهها شطر اللهو الفارغ... ولكنها بتخطيط جاد ومنن في آن واحد، بتخطيط يساعدها، ولا يكون قيوداً تكبلها وتحرمتها من القيام بالواجب الأهم. وبذلك تصل إلى ما يريده الدين منها.

لابد لنا من بصيرة نافذة ونفس للخير فاعلة. تضع كل أمر في موضعه الشرعي:

• أما (آمال) فكانت وللأسف تتوانى عن الصلاة المفروضة.. لقد دخلها الشيطان من حرصها على أسرتها. فمنذ زواجها بدأت تؤخر الصلاة، وتنى نفسها قائلة: لا مانع، سأنتظر قليلاً ثم أصلى.. تعلم حق الزوج.. ومن ثم حق الولد.. وهكذا تؤخر الصلاة عن وقتها..

- وهنالك وفي شهر الصيام، من تنام عن الصلاة المفروضة... أما إذا كانت صلاة التراويح فإنها تنشط لأدائها. وتأهّب مع صاحباتها لها!!

• وأخرى تهمل صلاة الفريضة وتفرج بصلاح الصحي فتحسن قيامها وتم

خشوعها... إنها ترك عmad الدين وتقوم بالنواقل. فمثلاً مثل من يبني قصرأ ويهدم مصرأ!

• وامرأة تهتم بالمواعيد وتحرص على الوفاء بها. أما الصلاة فتسوفها، وقد تؤدي صلاة العصر في وقت التفريط والذي تكون الشمس فيه بين قرنى الشيطان، مع أن موعد الصلاة أكدر من المواعيد الأخرى على أهمية الوفاء بالوعد. فإن خلاف الوعد دون مبرر من صفات المنافقين.

وقد قال تعالى في ذم من يضيع الصلاة:

﴿فَخُلِّفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيَّابَهُ﴾^(١).

ومن صفات المنافقين كما ذكرها جل شأنه: ﴿لَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كَسَالَى﴾^(٢).

ولقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أفضل الأعمال أداء ما افترضه الله تعالى، والورع فيما حرم الله تعالى، وصدق النية فيما عند الله تعالى. وعلىه :

فمن الأولويات:

• أداء الصلاة على الوجه الذي يرضي الله تعالى: فالصلاحة عماد الدين ولا يجوز للمكلف تركها إلا لعذر شرعي. ولا عذر في الجهل بها. وهي كالإيمان لا تدخلها التباينة بحال. فلا يصلح أحد عن أحد الفرض لا لعذر ولا لغير عذر. كما لا يؤمن أحد عن أحد. ولا تسقط بحال كما لا يسقط

١) الآية ٥٩، سورة مرثيم.

٢) من الآية: ٥٤، سورة التوبة.

٣) مختصر منهاج القاصدين، ٣٦١.

الإيمان، بل عليه الصلاة ما دام عقله حاضراً وهو متمكن من فعل بعض أفعالها).^(٤)

إنها صلة بالله سبحانه وتعالى فلا تكون مع الغفلة.

وهي مناجاة لله عزوجل، فلا تكون بغير خشوع وحضور قلب.

وهي حركة جسم متظهر إلى جانب روح متطلعة لرضى الرحمن ومناجاته.

وقد قال عنها الصادق الأمين: «وجعلت قرة عيني في الصلاة».

فمن الأولويات في هذه العبادة الهامة والداعمة الرئيسية من دعامتين الإسلام، من الأولويات: إِذَ اللَّهُ كُلُّ مَا يُشْغِلُ عَنِ الْخُشُوعِ.

فقد قال نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام لأمنا عائشة رضي الله عنها فيما رواه أنس: «كان قرام لعائشة سترت به جانب بيتها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أميطي عن قرامك هذا، فإنه لا تزال تصاويره تعرض في صلاتي».^(١)

• ولتمام الخشوع على المرأة المسلمة كالرجل أن تبتعد عن الشواغل الدينية التي قد تلهي عن الصلاة.

ففقد روى الإمام مسلم بسنده عن عائشة، رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا صلاة بحضور طعام ولا وهو يدافعه الأخبان».

وما ذاك إلا ليقبل المصلي على صلاته وهو يتذكر الآخرة، ويحسن الصلاة بربه بعيداً عن الدنيا وهو أجسها وخواطرها.

وعليه، فإذا بك الصغير، وحان وقت الصلاة، فالأولى تلبية حاجة الصغير ثم الإقبال على الصلاة ما لم يخف فواتها.

٤) مجمع الفتاوى، لابن تيمية، ٤٤٠/١٠.

١) رواه الإمام البخاري في كتاب الصلاة رقم الحديث ٣٧٤، والقرام: هو ستر رقيق من صوف ذوألوان. ومعنى أميطي: أزيله، ينظر في صحيح البخاري، ٥٧٨/١.

ولقد قال أبو الدرداء رضي الله عنه: «من فقه الرجل أن يبدأ بحاجته فيقضيها، ثم يقبل على صلاته وقلبه فارغ».

• ومن الأولويات: أن تستشعر أذكار الصلاة وأفعالها وأقوالها: ولتذكر جيداً حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: «صل صلاة مودع، فما يدرينا، فعل تلك الصلاة آخر صلواتنا!؟

وإذا صلت المرأة متفهمة لما تعلوه من القرآن الكريم، شاعرة أنها بين يدي الله، شعرت براحة نفسية لا تضاهيها راحة.

قال الحسن البصري رحمه الله: (فقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة - الذكر - تلاوة القرآن. فإن وجدتم، وإن فاعلموا أن الباب مغلق).

ورحم الله ابن القيم حيث قال^(١): (إن للعبد بين يدي الله موقفين: موقف بين يديه في الصلاة. وموقف بين يديه يوم لقائه. فمن قام بحق الموقف الأول، هون عليه الموقف الآخر. هُوَ مِنَ الظَّلَمِ إِنْ فَسَدَ لَهُ سَبْحَةٌ لِيَلَّا طَوِيلًا. إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً).^(٢)

وفي الأثر: إن الرجلين ليكون مقامهما في الصف واحداً، وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض.

حتى الصلوات فإنها تتفاوت في الأفضلية:

قال تعالى: «إِنَّ نَاسَةَ اللَّيلَ هُنَّ أَشَدُ وَطْأَةً وَأَقْوَمُ قِيلَابًا».^(٣) ذلك لأنه كما قال مجاهد: مغالية هناف النوم وجاذبية الفراش بعد كد النهار، أشد وطأة وأجهد للبدن. ولكنها إعلان لسيطرة الروح، واستجابة لدعوة الله، وإشار للأنس به.

١) التواد لابن القيم، ص ٢٠٠.

٢) الآية: ٢٧ من سورة الإنسان.

٣) للزمرل، الآية ٩.

ومن ثم فإنها أقوم قيلاً. لأن للذكر فيها حلاوته، وللصلوة فيها خشوعها، وللمناجاة فيها شفافيتها. وإنها لتسكب في القلب أنساً وراحة وشفافية ونوراً، قد لا يجدها في صلاة النهار وذكره.^(١)

ولقد كرہ الإمام مالک إحياء الليل. كله وقال:

لعله يصبح مغلوباً، وفي رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة. ثم قال: لا يأس به ما لم يضر ذلك بصلوة الصبح. فإن كان يأتيه الصبح وهو نائم فلا. وإن كان وهو به فتور أو كسل فلا يأس به.

إذا ظهرت علة النهي عن الإيغال في العمل، وأنه يسبب التعطيل لوظائف، كما أنه يسبب الكسل والترك ويغوض العبادة، فإذا وجدت العلة أو كانت متوقعة نهي عن ذلك.^(٢)

● ● ●

والمرأة الصالحة تجعل الأولوية لما يفضل غيره في الثواب، رغبة فيما عند الله تعالى من الأجر:

قيل لابن مسعود رضي الله عنه: إنك لتقل الصوم! فقال «إنه يشغلني عن قراءة القرآن. وقراءة القرآن أحب إلي منه... ونحو هذا حکى عياض عن ابن وهب أنه آلى أن لا يصوم عرفة أبداً. لأنه كان في الموقف يوماً صائماً وكان شديد الحر. فاشتد عليه، فكان الناس يتظرون الرحمة وأنا أنتظر الإفطار).^(٣)

١) في ظلال القرآن، ٣٧٤٥/٦، م.

٢-٣) المواقف في أصول الأحكام للحافظ أبي إسحاق الشاطبي نشر دار الفكر للطباعة والنشر.

• وفي أفضلية الحج تطوعاً أو عدمها: الأرجح إن كان ثم رحم محتاجة، أو في زمن مجاعة، فالصدقة أفضل، وإلا فالحج. وهو رأي الإمام أحمد وغيره).^(١) فلو أن امرأة حجت الفريضة وترید الحج تطوعاً...

إنها وإن كانت ذات مال، لكن زوجها كان فقيراً وبحاجة إلى ما يسد رمق أولاده. فإن لم تساعدهم يحتاجون إلى الغير لضيق ذات اليد، فأيهما أولى حج التطوع أم الإنفاق على العيال؟!

وحج التطوع أم الإنفاق لمساعدة ابنها الشاب على الزواج وإعفاف نفسه؟! إن أولى واجبات المرأة أن تعهد أهل بيتها وتحسن إليهم.

أما (مني) فكانت تصر على حج ذلك العام... وإمكانيات زوجها المادية لا تحتمل أكثر من حج شخص واحد، لا تحتمل إلا حج أمها. والزوجة الغريرة أصابت مقتلاً من حياتها الزوجية عندما بدأت تجادل بأولويتها للحج! أما إنها لو حكمت الشرع، فالأولى حج الأم.

• والصدقة تفاوت أيضاً في الأجر والأفضلية:
عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله. ودينار ينفقه الرجل على دابته في سبيل الله، ودينار ينفقه على أصحابه في سبيل الله».

قال أبو قلابة: «وبدأ بالعيال» ثم قال أبو قلابة: «وأي رجل أعظم أجراً من رجل ينفق على عيال صغار يغفهم أو ينفعهم الله به ويعنيهم عنه». ^(٢)
وهذا ما يؤكده حديث جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه

(١) لطائف المعارف لابن رجب الخبلي، ص ٢٦٩.

(٢) أخرجه سلم في باب الابداء في النفقة بالنفس ثم الأهل ثم الأقارب.

قال: «ابداً بنفسك فتصدق عليها. فإن فضل شيء فلأهلك. فإن فضل شيء عن أهلك فلذي قرابتكم. فإن فضل عن ذي قرابتكم شيء فهمكذا وهكذا». ^(١) فيجب أن نعيش واقعاً لا خيالاً، نراعي أحوالنا المادية والاجتماعية ونحسن إلى أهل بيotta، فذلك مما يزيد المودة والإلفة، وهو من المعاشرة بالمعروف التي دعا لها الدين.

ثم إن الصدقة على الأقارب فيها أجر الصدقة وأجر الصلة: عن زينب امرأة عبدالله (رضي الله عنها) قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تصدقن يا معاشر النساء ولو من حليكن، قالت: فرجعت إلى عبدالله فقلت:

- إنك رجل خفيف ذات اليد. وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرنا بالصدقة. فأئه فاسأله، فإن كان ذلك يجزئ عنِّي ولا صرفتها إلى غيركم. فقال لي عبدالله: بل ائته أنت.

قالت: فانطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا امرأة من الأنصار يباب رسول الله وحاجتي حاجتها...

وفي الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لهما أجران: أجر القرابة، وأجر الصلة». ^(٢)

«معلمة» كانت ذات راتب شهري ورصيد من الوفر لا يأس به... أما زوجها فكان لضيق ذات اليد يطالبه بالمشاركة في نفقات البيت أو على الأقل دفع قسط البيت الذي يرغبان في تملكه...

لكن الزوجة، وبكل جفاء وغلظة، كانت تمانع محتاجة بحريتها في التصرف

(١) أخرجه النسائي وصححه الألباني، صحيح الجامع الصغير، ٦٨/١.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب فضل النفقة على الأقربين والزوج والأولاد.

بمالها... تلك الحرية التي حفظها لها الشرع!
وتتجدد راحتها في زيادة رصيدها، والبالغة في الإنفاق على ما فيه رفاهيتها هي فقط.

إن مما يذيب القلب، التطلعات الأرضية الهاابطة عند البعض والتي تعصف بكيان البيوت بسبب الهاجس المادي المسيطر.
وهذه سيدة معروفة في المجتمع بالكرم والسخاء. لأن ذلك شأنها مع صاحباتها وقرياتها.

لكن ما إن تسمع عن مجيء أحد من أقارب زوجها إلا وتخفي الغالي من الأدوات والتحف المنزليه...

حتى الطعام لا تظهر أحسنه كشأنها مع صديقاتها... وذلك كله حتى لا تشاركها أخت زوجها أو أمه فيه! فأين هي من قصة أصحاب الجنة. قال الله تعالى: *هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَنَا بِلَوْنَاهُمْ كَمَا جَعَلَ لَنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لِيَصْرُمُنَا مَصْبِحِينَ وَلَا يَسْتَشُونَ*. فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصرىم^(١).
هلا اقتدت بالصالحات من سلفنا:

عن طلحه بن يحيى عن جدته سعدى قالت: دخلت يوماً على طلحه (الصحابي) رضي الله عنه، فرأيت منه فعلاً فقلت له: مالك لعلك رايك من شيء فتعتبك قال: لا، ولنعم حليلة المرء المسلم أنت. ولكن اجتماع عندي مال ولا أدرى كيف أصنع به. قالت: ما يعمك منه؟
ادع قومك فاقسمه بينهم فقال: يا غلام على^٢ بقومي.
فسألت الخازن كم قسم؟ قال: أربعمائة ألف»^(٢).

١) سورة القلم، الآيات ٢٠-١٧.

٢) أخرجه الهيثمي في مجمع الروايات.

وعندما أعتقدت أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها وليدة لها فقال لها عليه الصلاة والسلام: لو وصلت بعض أخوالك كان أعظم لأجرك).^(١)

• بل إن الصدقة نفسها تتفاوت في الأجر: وذلك حسب الطريقة التي تؤدي بها، قال الله تعالى: ﴿قُولُ مَعْرُوفٍ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبَعُهَا أَذَى﴾ البقرة، ٢٦٣.

فالصدقة التي يتبعها الأذى لا ضرورة لها، وأولى منها كلمة طيبة وشعور سمح.

كلمة طيبة تضمد جراح القلوب وتعمها بالرضا والبشاشة، ومغفرة تغسل أحقاد النفوس، وتحل محلها الإخاء والصداقه...

والصدقة ليست تفضلاً من المانع على الآخذ، وإنما هي قرض لله. والله غني حليم. غني عن الصدقة المؤذية، حليم يعطي عباده الرزق فلا يشكون، فلا يعجلهم بالعقاب، ولا يأدرهم بالإيذاء).^(٢)

وكذلك الصدقة إذا كانت غير خالصة لوجه الله...

فلو أن امرأة كانت تكره الصدقة في السر، وتتصدق في المحافل العامة رباء وحباً في الذكر الحسن. فعملها أصبح معصية، حيث تركت طاعة آكد ألا وهي الإخلاص لله وعبادته وحده لا شريك له. لقد خاب سعيها لما تركت الأهم والأولي.

عجبًا من تفرق نفسها في التعيم الزائل، أما إذا فتح باب النعيم المقيم تعالت بالأسباب الواهية. وقالت: لا أقدر، هذا جهدي، لقد تغير الرمان... الخ.

١) أخرجه البخاري، كتاب الهبة، باب بن يبدأ الهدية، رقم الحديث: ٢٥٩٤.

٢) في ظلال القرآن، ٣٠٨/١

شنان بين «رشا» التي كانت تنفق ثلث راتبها لشراء ملابس وأدوات تجميل... وبين «عائشة» التي كانت تجبر كل سنة براتب شهر لصالح مدارس تحفيظ القرآن الكريم.

فإذا أردنا أن ننصر ديننا، ونهض بصحوتنا، ونعمل حضارتنا: فلنعبد ربنا كما شرع ولا نشتغل بالتوافه، ولا نستبدل الذي أدنى بالذي هو خير..

هذا ويؤخذ بالحسبان عند توزيع الأولويات: شهر رمضان والمواسم الدينية مثل العشر من شهر ذي الحجة وغيرها، والأعياد والواجبات الاجتماعية، ونراعي الأحوال في كل ذلك. فهنالك عبادات لها أفضلية حسب الوقت، وحتى في دعائنا فإنه تتفاصل الدعوات:

فقد قال ابن القيم رحمه الله: (يصرف بعضهم همته وتوكله ودعاؤه إلى وجع يمكن مداواته بأدنى شيء، أو جوع يمكن زواله بنصف رغيف، أو نصف درهم. ويدع صرفة إلى نصرة الدين، وقمع المبتدين، وزيادة الإيمان ومصالح المسلمين).^(١)

نراعي عند اللمات والناثبات التي تصيب المسلمين أن يكون دعاؤنا لنصرتهم وتفريج كربتهم من أولوياتنا في الدعاء.
وتنعم الدعاء في ساعات الإجابة: فلقد جاء فيما أخبرنا به النبي عليه الصلاة والسلام: «إن في الليل لساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيراً إلا آتاه إياه وذلك كل ليلة». ^(٢)

١) تهذب المدارج، ٣٤٣.

٢) رواه مسلم.

المبحث الرابع العمل في المنزل وتربيّة الأبناء

الأم لها مهمة لا يقدر عليها غيرها، وتتناسب مع فطرتها. فهي تمد الأم بوقود الحروب، ودعاة السلام، وبناء الحضارة... إنها المنجية والمرية، وهي المرشدة والناصحة حيث تمنع أبناءها من وقتها، وتغذيهم بمحبة الله وطاعته، وتعد أولادها ليكونوا من أرباب العقيدة السليمة، والهمم العالية، والفضائل الجمة.

وتبدل كل ما في وسعها لتبعد أسرتها عن المكدرات التي تقلقها وتخربها من راحة النفس وصفاء السريرة.

وإلا فالأسرة الممزقة لن تكون عوناً لأحد - لا المرأة ولا غيرها - لمرااعة الأولويات.

إن الأمة رسالة المرأة الأساسية وهي من أوائل مهام المرأة:

فالإسلام يدعو إلى تكثير الذرية. فقد جاء رجل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إني أحببت امرأة ذات حسب ومنصب ومال إلا أنها لا تلد، أفائزوجها؟! فنهاه، ثم أتاه الثانية فقال له مثل ذلك، ثم أتاه الثالثة فقال:

«تزوجوا الورود فإذا زوجوها فلاني مكاثر بكم الأمم». ^(١)

أما وقد عمت البلوى مجتمعاتنا وامتلأت بدعايات ماكرة: منها قولهم: إن أسرة صغيرة تعني حياة أفضل...
فذلك يجافي الحقيقة..

١) رواه أبو داود والنسائي والحاكم.

لماذا لا تقول إن الوافدين الجدد من النسل الإسلامي -إن شاء الله- ستكون لديهم العقول العبرية التي تبتكر الخير لدفع غائلاً الجموع، وحياة الفقر ونكد العيش الذي يعانيه المعاصرون؟!

ففي ألمانيا مثلاً^(١): كان عدد السكان فيها سنة ١٨٨٠ م (٤٥) مليوناً وكانوا في تلك الأيام يعانون معيشة ضنكأً، وضائقـة مالية شديدة حتى كانآلاف منهم يهاجرون إلى الخارج بين كل عام وأخر.

ولكن لما بلغ عددهم ٦٨ مليوناً بعد ٣٤ سنة، فبدل أن تصاب ألمانيا في وضعها الاقتصادي، تضاعفت وسائلها للمعيشة، ومواردها للرزق عدة مئات من المرات على نسبة زيادة سكانها. حتى اضطرت إلى طلب العمال من الخارج لتسهيل حياتها الاقتصادية.

فقد بلغ عدد العمال الأجانب في ألمانيا ٨٠٠ ألف، سنة ١٩٠٠ م وحوالي مليون و ٣٠٠ ألف سنة ١٩١٠ م).^(٢)

وعندنا وللأسف من الدعايات المغرضة والموجهة للمرأة على وجه الخصوص وذلك لتحديد النسل، ينتونها بتفاهات قد تغري البعض ويقولون: لأجل جمالك - رشاقتك - صحتك... عليك بتحديد النسل. الواقع يحكي خلاف ذلك: فكم من امرأة نحيلة القوام، وبالحمل ازدادت صحة وجمالاً. والمرأة التقية توازن بين مصلحتها وواجبها، وما كان الجمال هدفاً لمن هدفها الجنة! ثم إن منع الحمل لا يباح إلا لتحصيل مصلحة أو دفع مشقة، والضابط في ذلك نسبة المصلحة والمفسدة.

والشرع هو الفيصل، وتطبيقه هو الذي سيجلب الرضى والسعادة لأسرنا.

١) حركة تحديد النسل للمودودي، ١٥٢.

٢) النارة على الأسرة المسلمة، ٤٨.

ثم إن مشاعر الأمومة فطرية في كل امرأة. فقد شاء الله لإحدى «الصالحات» أن لا ترزق بأطفال، فأشغلت نفسها بما ينفعها ويفيد غيرها؛ ربت ابنة اختها، وقد أرضعتها امرأة أخ زوجها، لتصبح محرمة بالرضاع على زوجها... لقد مارست أمومتها بطريقة مشروعة وتناسبها، ولا تضر غيرها.

• • •

ومن الأولويات للأسرة مع وجود الأولاد خاصة أن لا تتمسك بالتنفيذ الحرفي لما خططت له، ولترك مساحة من المرونة كافية للتعامل مع ما يجد من أمور الحياة. فالوقت قد يشغل بطالهم الطارئة، من مرض أو مذاكرة لامتحان... وإلا فمن سيحيط الأطفال بالرعاية؟!

لقد كانت (إحداهن) تشعر دائمًا أنها غارقة حتى أذنها في الأعمال، تركض دون جدوى... ولا وقت للراحة لديها، لكن لماذا؟! إنها تريد أن تكون سيدة مجتمع، وأخذ ذلك جل اهتمامها، فأصبحت ترهق نفسها لأجل تطلعات واهية.

وإزاء مسؤولياتها الاجتماعية، والتي كانت تظهر في زياراتها الكثيرة. واتصالاتها المكثفة، فضلًا عن مسؤولياتها الأسرية، أصبحت سريعة الغضب وكثيرة الشكوى، عاملت أولادها بصلف ليكون الود والمحاجلة خارج المنزل! وطالما اشتكت أن طفلها الصغير قد منعها من الراحة وحرمها من متعة الحياة. وصار الزوج يقلق من انشغالها عنه!

أعادت النظر في أسلوب حياتها وفي تطلعاتها، وأعانتها ترتيب أولوياتها لتحافظ على كيان أسرتها، ولا تخسر مكانتها الاجتماعية وتحرص على صحتها: بدأت في كل أعمالها تسأل نفسها: ما الغاية من العمل؛ ولماذا أقوم به؛ وهل

أستطيع أن أعمل ما هو أفضل منه؟!

ووجدت أن الصدق والصراحة يحلان الكثير من المشاكل، فتعلمت الاعتذار الصادق حتى عن بعض المكالمات، بأن لديها ارتباطاً أسرياً، أو أنها تريد الإشراف على دراسة أولادها... أو تريد العناية بطفلها الصغير.

فتحسين الوضع، وعادت الأمور إلى نصابها، عندما عملت بقول الرسول صلى الله عليه وسلم «فأعط كل ذي حق حقه».

يا سبحان الله! من يعتني بالرضيع إن قصرت أمه عنه؟! ومن يغنيه عن عواطفها وفيض حنانها؟!

مع الأخذ بالاعتبار أن لا تدع جبها لأولادها يطغى على اهتمامها بزوجها وتقديرها له، وقيامها بسائل واجباتها. وفي كل ذلك لا بد من الصبر والاحتساب.

فإذا كان المزارع يصبر ويعمل ويحرث الأرض ليحصد قمحاً، فهلا عملنا لأجل أبنائنا، هلا صبرنا وتحمّلنا ل التربية للأجيال المؤمنة؟!

إلا، إذا تهربت المرأة من المسؤولية، وجعلت الاهتمام بأولادها أمراً هامشياً، فإن الفجوة بين الآباء والأبناء سوف تزيد بتجاهل حقوقهم. فالعلاقات الحميمة بينهم لن تأتي من فراغ... لن تحصل بين أم وأبناء لا تتواصل معهم.. لن تحصل وهي تتشارع عنهم وتتركهم يتضاغعون ولا من مجيب... حتى إذا كبر الصغار وكبرت معهم مشكلاتهم، بدأت تستتجد بأولي الرأي لمعالجة المثالب التي جمعتها النشأة الخاطئة:

وما أود التنبيه به، أن الأم ليست وحدها المسؤولة عن التربية، لا بد من التعاون بين الزوجين.. فقد يقوم الأب بمتابعة دروس أبنائه الكبار.. لسفرغ الأم لطفلها الصغير وهكذا...
لا بد من التعاون، فال التربية مسؤولية الجميع.

• «سامية» تسلل إلى سمعها بكاء ابنتها الشابة الخافت الحزين.. وبعد تكرار ذلك منها، استفسرت أنها عن سبب ذلك فما كانت تجد منها أكثر من الصمت والرجم! فلجلأت إلى صديقة ابنتها لعلها تعرف الحقيقة.. وبدورها سألت الصديقة الفتاة ليتبرج بمكتنوات نفسها... ردت ببرارة: أسلأي أمي، هل لها أولاد غير سامي؟!

سامي كم يسيء إلي، ويناديني وأنا أخته الكبرى: يا غبية! وهي تضحك له! هل لأنه ذكر، وما ذنبي أنا؟ أو ليس الله تعالى القائل: **﴿وَيَهُبُ لِمَن يشَاء إِناثًا وَيَهُبُ لِمَن يشَاء الذُّكُورُ أَوْ يَزُوْجُهُم ذُكْرًا إِناثًا وَيَجْعَلُ مِن يشَاء عَقِيمًا﴾**.⁽¹⁾

إن الأم راعية وهي مسؤولة عن رعيتها، واجبها اليقظة للنهوض بأبنائها، وتعديل سلوكياتهم، تقوم حتى كلماتهم لتزركونفسهم.

وما يحكي أن إحدى العابدات قالت لأبنتها وقد رأتها في أحد الأيام فرحة مزهوة، قالت لها: «لا تفرحي بفان ولا تجزعي من ذاهب»، وافرحي بالله تعالى واجزعي من سقوطك من عينه». ويمثل هذا الحس المرهف التقى نلاحظ أبناءنا ونوجهم، كما وتابعهم لأداء الصلاة في أوقاتها، ولا تشاغل عن تلك المهمة فهي أولى الواجبات في التربية، وقد قال تعالى: **﴿وَأَمْرُ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾** أما واقعنا المؤسف فنجد فيه أن كثيراً من الأمهات، فضلاً عن الآباء إذا جاءهم الولد وقد قصر في دروسه فإنهم يشعرون به لوماً وتعنيفاً. أما إذا قصر في صلاته. هل يكون لوالدته نفس الموقف؟

هلا تمر وجهها غضباً لحرمات الله؟!

وابنتها المراهقة ألا تلاحظها عند الخروج من المنزل، أهي محتشمة أم لا؟

(1) الآية ٤٩، من سورة الشورى.

وأين ستذهب؟! لشلا تغفل عن ذلك فتبغض الفتنة وتفرخ مستغلة إهمال الأم لمهنتها.

كما أنه من الأولويات الواجب مراعاتها لنجاح العملية التربوية للأم، هي التواصل مع الأبناء ومتى العلاقة معهم في كل فرصة متاحة. فالتفاعل مهم وضروري للتربية السليمة.

• فالولد المتمرد، من يعدل سلوكه غير أهله وذويه؟ لا أحد. لقد أحسست أمه أن أول واجباتها إظهار التعاطف معه وزيادة التواصل بينها وبينه، لا ينتبه، خففت حدة اللهجة معه... بدأت تتابع مذاكراته وتساعده في واجباته كلما احتاج إلى ذلك... وبين الحين والآخر قد تحكي له قصة وتشاركه ألعابه، وتسأله عن مدرسته وأصحابه. تحولَ الأمر إلى صدقة متينة مع أمه. بعد أن كاد الأمر يفلت ويصل إلى المقاطعة بينهما...

وبالتعامل الحسن، والتواصل الحكيم تخلص من عاداته السيئة، فصار الاحترام بعد التمرد، وتعلم النظام والانضباط... صار يرتدي أدواته بضم الملابس المتسخة في مكانها... وتحسن سلوكه عموماً. وباختصار أضحى مطيناً لوالديه، حريصاً على طاعة ربها، مؤدياً للصلوة في أوقاتها. مما أقر الله به عيون ذويه وأثلج صدورهم. وذلك بعد جهد دؤوب، ومتابعة متواصلة من أمه على وجه الخصوص.

إن نتائج التربية لن تظهر بين عشيّة وضحاها، إنها تحتاج إلى جهد و وقت لذا تختلط على المرأة الأولويات في هذا المجال.

فلنذكر أن الوقت الذي يذهب للتربية ليس سدى إنه وقت مستمر يتعلم منه الأبناء الكثير. وصدق رسولنا الكريم حيث قال: «فوالله لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيراً لك من أن يكون لك حمر النعم».^(١)

(١) متفق عليه.

فإن وجدت الأم أنها طرحت سلوكاً غيرية من سلوك الأبناء، فالسؤال الواجب طرحه ما السبب الذي أدى به لذلك السلوك؟

لعله الانشغال مع الزوج أو في العمل أو في الواجبات الاجتماعية... أو لعله سلوك مقتبس من الجيران أو الخدم... وهذه هي بداية الإصلاح. عندها نعيد النظر في حياتنا، نحذف الأمور الهامشية أو نوكل بها غيرنا. أما الأمور المهمة التي لا يقدر عليها غير الأم. فيجب عملها، ولا تتعلّل بالأعذار، وتعطي الأولاد من وقتها بعيداً عن الأثرة وحب الذات.

• هناك معلمة كانت في قمة نجاحها في مهنتها كمعلمة، كانت تهتم بإعداد الدروس، وتذهب أكثر وقتها في تهيئة وسائل الإيضاح... و يومياً كانت تحزم أوراق الطالبات ودفاترهن وتأتي بها للبيت لتصفيتها

بعد الإنجاب، كثرت المسؤوليات وتشعبت وعندما عملت بالأهم تركت العمل، وتفرغت لبيتها وطفلها، فذلك أدعى لإنجاز دورها كما ينبغي. ولا فهل يعقل أن تعلم المرأة أولاد الناس وتترك أولادها لتربيتهم الخادمة؟!

إن الخدم لن يربوا الأسياد... وطورت قدرتها في مجال التربية فزادت من قراءاتها التربوية، مما زاد في نجاحها، فلم يعد يعوقها عن مهمتها الرئيسية معوقات الوظيفة الرسمية. وبفضل الله أبدعت في تربيتها وفي أدائها الفكري والتربوي... وبالصبر والاحتساب، والتطلع إلى ما عند الله من الثواب، تطمئن النفوس وتحلو العمل ويارك الله فيه.

ولن نجد حيثذاك من تتبرأ أداء رسالتها التربوية.

أما وقد تقلص الدور التربوي للأسرة، وشاركت عوامل عدّة في تربية أبنائنا، فواجبنا إعادة النظر في برامجنا التربوية وأولوياتنا فيها.

وأولويات دور المرأة المسلمة في التربية يمكن تلخيصها بما يلي:

- ١- الاهتمام بالتربيـة الإيمانية لنضـمن استقـامة الأجيـال - يـاـذن الله - وـمن ثـم بنـاء المؤـمن المـفـكـر الذي يـمـيز بـين الخـيـر والـشـر، ولا يـكـون إـمـعاـة مـقـلـداً لـلـآخـرـين.
 - ٢- عدم التـركـيز عـلـى أـدـاء الشـعـائـر فـقـطـ، بل نـهـتـم أـيـضاً بـأـعـالـم القـلـوبـ.
 - ٣- تـرـشـيد التـعـامـل مع وـسـائـل التـرـفـيه الحـدـيثـة (من كـمـبيـوـتـر وتـلـفـاز وـنـحوـهـ....) وـذـلـك بـتـقـليل أـوقـات التـعـامـل إـلـيـهاـ. وـالـهـتـمـام بـالـرـاحـةـ وـالـصـحـةـ كـمـا يـمـلـيـهـ عـلـيـنـا دـينـنـاـ.
 - ٤- التـرـابـطـ الوـثـيقـ بـيـنـ الـوالـدـيـنـ وـالـأـبـنـاءـ، وـمـدـ جـسـورـ الصـدـاقـةـ وـالـمحـبـةـ بـيـنـهـمـ.
 - ٥- مـلاـحظـةـ صـحـبـةـ الـأـلـادـ وـتـوجـيهـ غـرـائـزـ الـمـراهـقـ خـاصـةـ.
 - ٦- الـاعـدـالـ وـالـتواـزنـ فـيـ النـفـقةـ - فـيـ الـخـافـظـةـ عـلـىـ الـوقـتـ.
وـفـيـ حـيـاتـاـ الـمـعاـصـرـةـ صـورـ مـحـيـرـةـ تـعـانـيـهاـ الـكـثـيرـاتـ:
- كـانـتـ إـحـدـىـ الـمـؤـمـنـاتـ حـرـيـصـةـ عـلـىـ تـنـشـئـةـ أـلـادـهـاـ فـيـ ظـلـالـ بـيـةـ إـسـلامـيـةـ
نـقـيـةـ...ـ

سـأـلـتـ مـرـةـ: هـلـ تـصـحبـ مـعـهـ أـلـادـهـاـ إـلـىـ يـتـ جـدـتـهـمـ عـلـمـاـ أـنـهـاـ (الـجـلـدـ)
تـدـيمـ فـقـحـ جـهـازـ التـلـفـزـيـوـنـ (وـفـيـ مـنـ الـمـذـدـورـاتـ الشـرـعـيـةـ...ـ).ـ

وـهـلـ يـزـورـونـ أـخـوـالـهـمـ وـعـنـدـهـمـ فـيـ يـتـهـمـ نـفـسـ الـمـذـدـورـ؟ـ!

فـيـ ظـلـ الـأـلـوـيـاتـ: تـعـمـلـ أـهـوـنـ الشـرـينـ..ـ إـنـ وـجـودـ الـجـهـازـ أـهـوـنـ مـنـ الـعـقـوقـ
وـقـطـيـعـةـ الـأـرـحـامـ.ـ وـتـجـعـلـ الـأـلـادـهـمـ الـذـيـنـ يـتـولـونـ إـغـلـاقـ الـجـهـازـ عـنـدـ الـمـوـسـيـقـيـ،ـ
وـعـنـدـ الـصـورـ الـفـاضـحةـ.ـ وـذـلـكـ بـطـرـيـقـةـ مـهـذـبـةـ،ـ يـحـتـرـمـونـ أـقـارـبـهـمـ،ـ وـلـاـ يـجـرـحـونـ
مـشـاعـرـهـمـ أـوـ يـسـيـعـونـ إـلـيـهـمـ.

إـنـهـ وقتـ مـبارـكـ ذـاكـ الـذـيـ تـمـضـيـهـ الـمـرـأـةـ فـيـ الـواـجـبـاتـ الـاجـتـمـاعـيـةـ،ـ منـ صـلـةـ
الـرـحـمـ -ـ وـالـبـرـ...ـ فـهـوـ لـيـسـ وـقـتاـ ضـائـعـاـ وـلـنـ يـذـهـبـ سـدـىـ...ـ

فـيـ كـلـ نـشـاطـ سـلـيـمـ بـرـكـةـ،ـ وـفـيـ كـلـ خـبـرـةـ حـيـاتـيـةـ صـالـحةـ تـقـدـمـهـاـ لـأـخـوـاتـهـاـ
نـهـوـضـ بـيـنـاتـ أـمـتـهـاـ،ـ وـفـيـ كـلـ مـوـاـصـلـةـ لـلـمـؤـمـنـاتـ زـيـادـةـ لـلـتـراـحـمـ وـالـتـلـاحـمــ الـتـوـادـدـ
وـتـأـلـيـفـ الـقـلـوبـ.

• إن البيت هو الميدان الأساسي لعطاء المرأة:

تبذل جهودها لتعم فيه السكينة مما يعين على تحمل متاعب الحياة. والمرأة الصالحة تقوم بواجباتها المنزلية بتفاهم ووئام، مما يزيد من عطاء أفراد الأسرة جميعاً، ويبعث فيهم النشاط وروح التفاؤل والأمل. فالسعيد في أسرته أكثر عطاء في مجتمعه ونجاحاً في عمله. فتحمي المسلمـة مملكتها الصغيرة بحسن تنظيمها، دون أن تطغى بعض الواجبات على البعض الآخر. وتعمل في مهنة المنزل مقتدية بالزهراء (فاطمة رضي الله عنها، فقد قال علي كرم الله وجهه لأمه: أكفي فاطمة (أي زوجته) الخدمة خارجاً وتتكفـيك هي العمل في البيت والعجن والخبز والطحن).^(١)

فتتعاون مع أم الزوج ولا تتسافـس معها. فالزواج وسيلة للسعادة والاستقرار، لا للشكـاء والتفرـط.

• تحسن إدارة البيت فيما هو من اختصاصها، وإنـا فـإن القوامة في الأسرة (إنما هي للرجل لقوله تعالى: ﴿الرجال قوامون على النساء﴾). ولقوله جل شأنه: ﴿ولـهـن مـثـلـ الـذـيـ عـلـيـهـنـ بـالـعـرـوـفـ وـلـلـرـجـالـ عـلـيـهـنـ درـجـةـ﴾ وهذه الدرجة هي قوامة الأسرة، وهي رئـاسـةـ وـاـخـتـصـاصـ ليـبـعـدـ المـرـأـةـ عـنـ الشـبـهـاتـ وـعـنـ مواطنـ الرـذـلـ، دونـماـ تـسـلـطـ أوـ اـسـتـبـادـ.

ومـاـ هـوـ مـنـ اختـصـاصـ رـبـةـ الأـسـرـةـ: اـخـتـيـارـ طـعـامـ صـحـيـ منـاسـبـ لـأـفـرـادـ العـائـلـةـ وـلـلـحـالـةـ المـادـيـةـ دونـ أنـ تـذـهـبـ الـوقـتـ بـمـزاـوـلـةـ مـؤـنـ الـبـطـنـ. أـلـاـ فـلـتـسـمـعـ سـاكـنـاتـ الـمـطـابـخـ حـدـيـثـ الرـسـوـلـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ فـيـ الصـحـيـحـيـنـ: (المـؤـمـنـ يـأـكـلـ فـيـ مـعـهـ وـاحـدـ، وـالـكـافـرـ يـأـكـلـ فـيـ سـبـعـةـ أـمـعـاءـ). لـأـنـ الـكـافـرـ يـأـكـلـ بـنـهـمـ وـشـرـاهـةـ وـلـيـسـ كـذـلـكـ الـمـؤـمـنـ.

(١) سير أعلام النبلاء، ٢/١٢٥.

وماذا بعد كثرة الأكل غير التخمة داء العصر؟ وغير الشبع المفرط الذي يشل الجسم، ويدد النشاط، ثم يدفع للجوء إلى الطبيب لإصلاح ما أفسده التهم؟! وما كان الاهتمام بالجسم يوماً هو سبب التقدير للشخص والشعور بإنسانيته! ولقد صدق الشاعر إذ قال:

يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته فأنت بالروح لا بالجسم إنسان
والصحة إذا كانت لتنفيذ أوامر الله فهي نعمة ولا فهي نعمة.
والأثاث الفاخر ما كان هو سبب السعادة... فقد يكون في البيت الأدوات
المفيدة والفراش الوثير... لكن إن لم تكن هناك امرأة تحسن التدبير، فلن يدار
بحكمة، ولن تراعي الأولويات كما ينبغي وهيات هيات أن يسعد أفراده!
إن تنسيق المنزل بطريقة مريحة ونافعه سيخفف الجهد والوقت معاً. وإن
الحياة تصبح مضطربة ومرهقة بسبب سوء التنظيم ذلك لأن جهداً مضاعفاً
يجب أن يبذل حتى في الأمور التافهة:
فيإن طلب الرجل أداة من أدواته (مثلاً)، فالمأزق لا تخسد المرأة عليه، وهي
تبحث عن الأداة هنا وهناك...!

فالمراة الناجحة تضع كل شيء في موضعه المناسب، وتحسن ابتكار ما يعينها لأداء واجبها بسرعة وإتقان وحسن تدبير، وتنمي مهاراتها المنزلية مستعينة بذوات الخبرة من النساء الفاضلات، أو قراءة ما يساعدها للقيام بدورها بصورة أفضل.

• ثم إن المرأة العاقلة تقدر إمكانيات كل من في الأسرة وتحسن تقديرها، وتتصرف بحسبها. فستجده من مهارات أفراد الأسرة لتخفف من وطأة العمل عليها، وبنفس الوقت تعودهم تحمل المسؤولية ويشعرون بكيانهم، وفي مساعدتهم لها درس عملي لزرع روح التعاون بين أفراد الأسرة. وذلك من الأهمية بمكان عظيم:

(إن التكنولوجيا يمكن تقليدها، ورأس المال يمكن شراؤه، أما روح التعاون

للعمل فلا يمكن نقلها أو شراؤها)!

إن مناخ الثقة الذي يدفع البيئة إلى الشحن الذاتي والتبغث من الداخل لا بد أن ينمو من الداخل. وهذا الوضع ينطبق على الأسرة أو أية مجموعة من البشر. فالعلاقة الطيبة والمناخ الجيد لا بد أن ينمو عبر الوقت).^(١)

• وفي رسول الله صلى الله عليه وسلم خير قدوة للمرأة: فقد بعث عليه الصلاة والسلام مصعب بن عمير، رضي الله عنه، بعثه من مكة إلى المدينة ليعلم أهلها ويدعوهم إلى الإسلام.

وفي أسرنا تنظر ربة المنزل: فمن يحسن كي الملابس، أو الترتيب أو حتى غسيل الصحون - لا سيما عند عدم وجود الخادمة - فتستفيد من إمكانياته بأن تفروض إليه ما يمكن من المسؤوليات التي يجدها على أن توخي العدل، فلا تقل عليه دون إخوته... وإلا شعر بأن تميزه عباء يتمنى لو تخلى عنه!!

إن مساعدة الآباء في عمل «كمك العيد» مثلاً يفرجهم ويدخل البهجة إلى نفوس الجميع. ويساعد على بناء شعور إيجابي عند الأولاد لتحمل المسؤولية بقدر الطاقة والتعاون مع الآخرين.

• لقد أرادت إحدى الأمهات الناجحات أن تعمل «الكببة»* وحيث أنها كانت بحاجة ماسة إلى المساعدة... وكان لابنها الأكبر ميول فنية واضحة، أشعرته بأن عمل «الكببة» يماثل العمل الفني في حسن تنسيقه، وأعطته الشقة بأنه لابد سيفنه. وما عليه إلا أن يجرب.

وبشيء من المرونة قالت له: وما عليك إن لم يكن العمل على ما يبغى! - فقد استفادت من إمكانياته، وكانت ساعة بهيجية للتواصل وتوطيد العلاقات الودودة، فضلاً عن المساعدة.

(١) إدارة الأولويات لأهم أولًا، ٣٩٢، تأليف ستيفن كوفي، روجر ميريل وبيكان ميريل، ترجمة السيد المولى حسن، نشر مكتبة جريرا، الرياض، ط١، ١٩٩٩م.

* أكلة شامية.

● كانت (رنا) شابة تمتلك حيوية ونشاطاً...

وعندما تزوجت سبقتها الخادمة إلى عش الزوجية، لأنها كانت تجد غضاضة في العمل المنزلي.

بدأت (رنا) حياتها عدية الاكتئاث بأمور ينتها عموماً. وكانت أولى اهتماماتها أن تكون سيدة مجتمع يشار إليها بالبنان! كبرت الأسرة، وقبل فوات الأوان، شعرت (رنا) بمسؤولياتها كأم، ومن واجبها إحسان التربية لأبنائها، وأن تكون قدرة حسنة لهم في العمل والبعد عن الترهل...

شعرت بالمسؤولية كربة أسرة واجبها التوفير لشراء منزل بدل بعثرة المال، والاستدانة من الآخرين، للظهور في المجتمع بالصورة التي رسمها خيالها. شعرت أن هناك أموراً أهم من تلميع البلاط اليومي الذي تقوم به العاملة، فاستغفت عن العاملة. وأوكلت بعض المسؤوليات لأولادها. وبدأت تعيش واقعاً لا خيالاً. فاكتفت بما لديها من الأثاث بدل تغييره الدائم تقليداً للموضة!

وأبعدت عن الفوضوية، واستفادت من وقت فراغها الضائع فتعلمت بعض الأمور المفيدة، فأصبحت تستطيع إصلاح صنبور الماء المعطوب. أو إيصال أسلاك الكهرباء بحذق ومهارة.

فتوفر الجهد والمال والوقت... وأضحت قدوة صالحة لأبنائها.

(إن تقديم الضروريات على الكماليات دليل حكمة المرأة ورجاحة عقلها. فهو يحفظ للمسلمين ثروتهم، فلا تذهب أموالهم إلى جيوب أعدائهم. كما أن اختصار الأمور الثانوية يعنيهم عن الحاجة لرؤوس الأموال الأجنبية. والمال القليل إذا جمع يصنع الكثير).^(١)

(١) ضوابط الإنفاق في البيت المسلم: (١٥١) خولة درويش.

أما الأثرة والكسل وحب التقليد للموضة فإن جعل في أولويات بعض الأمهات لهو نذير فشل لأسرهن.

حيث يورثن بالقدوة استنزاف المال والجهد والوقت فتحام هذا العناء؟! ولا يصح التبرير وإلقاء اللوم على الآخرين في حال الفشل، وعدم إضفاء السعادة... فذلك إن دل على شيء فإما يدل على عدم الأمان مع الذات!

إن عمل المرأة في بيتها هو من أولى مهامها:

وما القول عن طيبة كانت تهتم بالنظافة والتعقيم في عملها.. أما بيتها فحدث ولا حرج، فهو في غاية القدارة؟! فلماذا؟!

إنه ما لم تبذل المرأة الكثير فلن تكون أسرتها لبنة صالحة في المجتمع. فلتقم كل بواجبها، ولتحسن الترتيب والنظافة، ولتحسن التصرف في النقود والنفقات عموماً.. فضلاً عن إتقانها للطهي وتخزين الأطعمة بطريقة سليمة كي تحفظها من التلف..

ولا بأس من توظيف التكنولوجيا في خدمة الأسرة. فهناك تقنيات ومتاحف تساعد المرأة وتتوفر الجهد عليها، وتجلب الراحة لأفراد الأسرة عموماً. وشراء هذه الأدوات أولى من شراء الخلي وأدوات الزينة. مع ملاحظة أن لا يكون هم الأسرة تكديس الأدوات في البيت.

- إن بعض المهام من الأولى تأجيلها.. ولا مناص لربة المنزل من المرونة في عملها. مع ملاحظة تقديم العذر المقبول للتتأجيل.

فمن أرادت عمل حلوي في رمضان مثلاً، ثم وجدت أنه من المتعذر إتمامها قبل قدوم الضيوف. فمن الأولى استبدالها بحلوى لها نفس القيمة الغذائية والتكلفة المادية وتُعد بوقت أقل. وتأجيل ما وعدت به الأسرة مع الاعتذار لهم. كما أنها قد تلغي بعض الأعمال مقابل غيرها... وما ذاك إلا للمرونة التي

تتميز بها المرأة الناضجة.

فلو كان عند إحداهم موعد لحفلة في منزلها، وكانت الأعمال المطلوبة منها: تنظيف الدواليب - والحجرات - مع تزيين (كيكة) لاستعمالها في الحفلة - ولديها من المهام الأخرى عمل (مربي) وزيارة طبيب ...

تنظر في الأعمال: إن زيارة الطبيب من الأمور العاجلة والمهمة.. وأما تنظيف الدواليب فيؤجل لبعد الحفلة. وتنظيف الحجرات قد يعمل من الصباح أو اليوم السابق للحفلة.

ولا بأس في تزيين «الكيكة» والاستفادة من إمكانيات أحد أفراد الأسرة من يتقن ذلك.

و عمل المربي: يؤجل لـ يوم آخر ...

وعند الاستعانة بالأ肯فاء من أفراد الأسرة، تراقب التنفيذ وتشجع على العمل الجيد بدل أن تقوم وحدها بكل المهام... وبالتعاون تلغى من قاموسها كلمة طالما كررتها المتذمرات:

« ومن في المنزل غيري ليقوم بالأعمال المتراكمة؟! ».

- وإن وجدت مشكلة فإنها تبحث عن حلها وتنظم أمورها حسب الأولويات:
• فإن وجدت أن المصحف قد وضع جانباً وعلاه الغبار... فإن التلاوة اليومية ولو لمدة ربع ساعة هي الحل الأولى.

• وإن تكرر تأخر ابنتهما المراهقة عن المدرسة: تبحث عن السبب، فقد يكون السهر أمام التلفاز، فالأولى عندها تحديد ساعات النظر إليه.

• وإن كثرت مشادات الصغار مع بعضهم. فالأولى عدم الانشغال عنهم، ومتابعتهم، واللعب سوية معهم، وپايجاز تهيئة الجو الخاني لهم.

• وإن وجدت الدواليب والملابس فيه مبعثرة: فالحل الأمثل وضع كل شيء في مكانه في حينه.

- والمطبخ إن كانت تفوح منه رائحة البصل والبطاطا التالفة. فالتفقد الأسبوعي لها هو الأولى منعاً للتلف قبل وقوعه.
- وكذلك الثلاجة إن كانت بها الخضر التالفة... فالتفقد اليومي لها ضروري...
تفوض هذا وسابقه للخدامة إن وجدت أو لغيرها من أفراد الأسرة.
مع ملاحظة أن يكون التنظيم لراحة الأسرة، لا أن يكون غاية في حد ذاته.
فتنظيم المهام للأولاد، للبنات، للصغار والكبار والخدم...
كل ذلك يساعد على معرفة كل لدوره المنوط به. مما يرفع من كفاءة الأفراد،
ويعيد عن المشاكل التي تسببها الفوضى.

• • •

- وفي البيت طاعة زوجها من الأولويات وتعيينه على الطاعة:
وواجب المرأة في طاعة الزوج أكد عليها من التطوع بأعمال البر: فقد جاء في الصحيحين أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه، وما أنفقت من نفقة من غير أمره فإنه يؤدى إليه شطره».
قال ابن حجر، رحمه الله، (في الحديث أن حق الزوج أكد على المرأة من التطوع بالخير. لأن حقه واجب. والقيام بالواجب مقدم على القيام بالتطوع).^(١)
أما المرأة المتزوجة فطاعة زوجها أوجب عليها من زيارة أمها المريضة إلا أن يأذن لها زوجها).^(٢)

١) ينظر فتح الباري، ج ٩، ص ٢٠٧، للإمام الحافظ بن حجر المسقلاني، ط ٢٠٩٤ هـ، نشر دار الريان للتراث، القاهرة.

٢) المغني، ٧/٢٠، ص ٢٠.

والزوج التقى معوان لزوجته على البر بوالديها، كما أنها تعينه بدورها على البر بوالديه ولقد قال تعالى: **«ولهم مثل الذي عليهم بالمعروف»**. ثم إن البر بالوالدين أكد حتى من الم jihad في سبيل الله، فلقد جاء فيما رواه مسلم بسنده عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، واستأذنه في jihad فقال: أحي والداك؟ قال: نعم: قال: ففيهما فجاهد». ^(١)

وما هذا إلا لمكانة البر بالوالدين، وهذا ما فهمه سلفنا الصالح رضوان الله عليهم، فإن شيخ الإسلام ابن المنكدر قال: بات أخي «عمرا» يصلني ويت أغمز قدم أمي، وما أحب أن ليتني بليلته). ^(٢)
أما وقد قلبت الموازين، واضطربت الأولويات، فإن مواصلة الوالدين أصبحت -للأسف- على هامش الأعمال.

فكـل الأمور تلىـ، أما أمورـها فـتوضـع في آخرـ القائـمة استـهانـة بهاـ أو إهمـالـاً ولا مـبالـة بـحجـة أنهـما منـ الأـهـل والأـقـارـبـ. وـذلكـ منـ العـقوـقـ. والعـاجـزـ عنـ برـ والـديـهـ فـهـوـ عـنـ غـيرـهـ مـنـ الـخـيرـ أـعـجزـ.

- والـمـرأـةـ الصـالـحةـ لاـ تـبـرـ منـ اـشـغـالـ زـوـجـهاـ عـنـهاـ.

ولاـ تـضـيقـ ذـرـعاـ بـضـيـوفـهـ فـمـنـ أـولـويـاتـهاـ أـنـ تـهـيـءـ لـزـوـجـهاـ الـحـوـنـاسـبـ مـاـ يـعـينـهـ فيـ أـمـورـ دـعـوتـهـ، تـقـتـدـيـ بـأـمـ المؤـمـنـينـ خـدـيـجـةـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـاـ إـذـ كـانـتـ تـصـنـعـ الطـعـامـ اـسـتـجـابـةـ لـأـمـرـ الرـسـوـلـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ كـيـ يـدـعـوـ بـنـيـ عـبـدـ الـطـلـبـ وـلـيـعـرضـ عـلـيـهـمـ الإـسـلـامـ.

ولاـ تـرـضـىـ الـمـسـلـمـةـ أـنـ تـكـونـ سـبـبـاـ فـيـ تـخـلـفـ زـوـجـهـاـ عـنـ وـاجـبـ دـينـيـ:

(١) أخرجه الإمام مسلم في البر.

(٢) سير أعلام النبلاء ٣٥٧/٥.

ولنذكر حنظلة «غسيل الملائكة» قال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم: «إن صاحبكم تغسله الملائكة، فسألوا صاحبته فقالت: خرج وهو جنب لما سمع الهيئة. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لذلك تغسله الملائكة»).

فالجهاد في سبيل الله أولى من طلباتها وبقائه لمؤانستها.

فلم تثبطه عن الجهاد... فالكل يتطلع إلى الباقي، ويذلل مهجته للفوز بها... .

وهكذا كان جيل الذروة السابقة، فما أجدنا بالقدوة الطيبة!

- والمرأة المؤمنة من أولوياتها: أن تشد أزر زوجها للطاعة، وإن لمست منه التقاус عن تلك الفضيلة، تتودد إليه وتصوب مساره... ومن ذلك أنها تحبب إليه صلة الأرحام، فذلك سبيل إلى السعادة الأبدية.

وفي الدنيا، فإن إسعاد من حولنا سبيل إلى سعادتنا. ومن جرب عرف!

• منذ أيام كنت أستمع لبرنامج إذاعي... كانت إحدى النسوة تشكو بمرارة من أخيها الذي تغير بعد الزواج تغيراً كبيراً ومتاجحاً. كان كما وصفته اخته من المحسنين إليها. فإذا به ينقلب عليها، وكلما طلبت منه - حتى زيارتها تهرب وتملص!

فعلم تقطع الأواصر؟!

إن صلة الرحم من اليسير تحصيلها، فقد تحصل بالهاتف إن تعذر اللقاء. أما إنها لو تُذْكُرَت الآخرة - دار القرار - لتركَ التهافت على الدنيا ولما قطعت الوشائج بين أفراد الأسرة.

• أما (رجاء) فقد بدأت تشكو: لا أحد يسأل عن حالِي، لا أحد يقوم بمواساتي في ظروفِي القاسية.

كانت (رجاء) تأخذ أبناءها معها إلى بيت أخوالهم... وكلما ذهبوا عاثوا في البيت الفساد.. وأتلفوا الأدوات... وقد يضربون الصغار من أبناء أخوالهم. مما أدى إلى تعكير صفو الأسرة والشقاق فيما بين أفرادها.

فما كان من (رجاء) إلا أن قاطعت أخاهما. ووُجِدَت زوجته بدورها من ذلك فرصة أن ترد عليها وتقاطعهم بالمثل. لا سيما وأنها لم تجد من (رجاء) ضبط لأولادها وحسن توجيهه وتأديب على وضعهم ذاك.

أما إنها -رجاء- لو فهمت الأولويات، لحاولت الإصلاح ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً. وذلك بحسن توجيه أبنائهما ومتابعتهم، أو مواصلة أخيها بدونهم، حتى لا تخسر أجمل ما في الدنيا من علاقات إنسانية.. لكن على نفسها جنت برافق!

هلا سألت نفسها لماذا -وحتماً- يقى أبنائي بدون تهذيب؟! وكيف أرقى بسلوكياتهم؟!

• وفي البيت المسلم تؤدى الواجبات الاجتماعية التي تزيد من تلاحم المجتمع وتراصده. وفي البيت المسلم يؤدى ما على الإنسان من الحقوق ومنها: قضاء الحاجات لأخيه المسلم والقيام بها وذلك درجات:

أدناها: القيام بالحاجة عند السؤال والقدرة. لكن مع البشاشة والاستبشران.
وأوسطها: القيام بالحاج من غير سؤال.

وأعلاها: تقديم حوائجه على حوائج النفس).^(١)

فالصالحة تبذل جهدها لكشف الكرب عن المحتاجين، وتقديم عليها دون ضجر أو تألف طمعاً في رضى الله ودوار نعمه عليها. فقد جاء في الحديث الشريف «إِنَّ لِلَّهِ عِنْدَ أَقْوَامَ نَعْمًا أَفْرَاهَا عِنْهُمْ مَا كَانُوا فِي حَوَائِجِ الْمُسْلِمِينَ مَا لَمْ يَلْعُهُمْ فَإِذَا مَلَوْهُمْ نَقْلُهَا إِلَى غَيْرِهِمْ».^(٢)

١) مختصر منهاج القاصدين . ١٠٠

٢) رواه الطبراني، بنظر الترغيب والترهيب، ٣٩٠/٣

المبحث الخامس استغلال الوقت بما يرضي الله

الوقت وعاء لكل عمل منتج. لذا يجب استغلاله بما يرضي الله، لا سيما وهو عمرنا المحدود الذي سنسأل عنه:

روى ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا تزول قدمًا ابن آدم يوم القيمة من عند ربه حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه. وماذا عمل فيما علم؟»^(١).

وقال الحسن البصري رحمه الله: يا ابن آدم إما أنت أيام مجموعة، كلما ذهب يوم ذهب ببعضك!!.

أما ما نجده في حياتنا فالمتناقضات جمة:

(فلانة) تشكو من كثرة الأعباء وتزاحم الواجبات...
وشكواها المستمرة: ماذا أفعل؟ واجبات الزوج والأولاد تأخذ وقتني...
والواجبات الاجتماعية تلتحقني... فمتى سأجد وقتاً للراحة من الأعباء الكثيرة؟!

(فلانة) تشكو من القراغ القاتل، فلا عمل لديها لتعمله! (الطفش) يضيق صدرها، والنوم يهيب بها ليخرجها من مأزق القراغ!!

ناموا الضحى فمتى المكارم ترتخي إن كان من طلب المكارم نائماً
حقاً متى ستقوم بواجباتها إذن؟!
ولو سئلت ماذا أعددت للقاء ربك؟!

١) أخرجه الترمذى وقال الألبانى حديث حسن، ينظر صحيح الجامع الصغير، ١٢٢١/٢.

لردد من وراء أجهزة الترفيه الحديثة يأججات لا تخلو من التسويف...
عندما أكبر سأعمل الصالحات أو أحجج بعد أن أبلغ سن الأربعين و...
أو ما درت أن الشيطان يعشش في القلب الفارغ، وأن الفراغ مفسدة، يدفع
للحسد والغيبة والشغف بالتوافق؟!

ورحم الله الإمام الشافعي إذ قال: «إذا لم تشغل نفسك بالحق شغلتك
بالباطل».

أما القلب العامر بالإيمان فلا فراغ فيه.

وإضاعة الوقت كما ذكر ابن القيم -رحمه الله-: أشد من الموت لأن إضاعة
الوقت تقطع المرء عن الله والدار الآخرة. والموت يقطعه عن الدنيا وأهلها!
وأعظم الإضاعات كما ذكر إضاعتان هما أصل كل إضاعة:
إضاعة القلب، وإضاعة الوقت.

فإضاعة القلب من إثمار الدنيا على الآخرة. وإضاعة الوقت في طول الأمل.
فاجتمع الفساد كله في اتباع الهوى وطول الأمل، والصلاح كله في اتيا
الهدى والاستعداد للقاء الله. (١)

وفي واقع الأمة أمثلة كثيرة مؤلمة:

• في أحد الأيام، وبعد انتهاء الدوام المدرسي، عادت البنت إلى البيت... وزاء
قرعات الباب المتواصلة وما من مجيب... خرجت الجارة من بيتها فنادت
الصغيرة... .

لقد كان معها ورقة تشعر الأم بضرورة القدوم للمدرسة لمناقشة تأخر الطالبة
عن قريبتها... !

كان الأم لا زالت تنفط في النوم العميق!!

(١) الفوائد لابن القيم، ١١٢.

إن كثرة النوم تضييع الوقت وتورث الغفلة. ولقد أيقظ رسولنا المربى عليه صلوات الله وسلامه، أيقظ ابنته وقد رأها يوماً متصبحة مضطجعة قائلاً: يا بنتي قومي ولا تكوني من الغافلين.

ومن تحب الدعوة وتؤثر الراحة الموهومة لهي من أكثر الناس تهرباً من تحمل المسؤولية، وأكثرهن ضجراً وبؤساً!

فالنفس قد تضجر من الراحة كما تضجر من العناء. والفائزة هي من تشغله نفسها في كل وقت بما هو أولى به، وأنفع لها في معادها وتضمن بوقتها أن يذهب في غير طاعة الله.

وقد قيل: من أمضى يوماً من عمره في غير حق قضائه، أو فرض أداه، أو مجد أمله، أو حمد حصله، أو خير أنسه، أو علم اقتبسه فقد عق يومه». وما أكثر العلاقات لأيامهن !!

إن من المظاهر المؤرقة التي غزت أسرنا: قلة الاكتتراث بالأوقات فالأسرة الحديثة، يفترض أن يكون لديها الوقت الكافي لتحسين الاستفادة منه. وذلك لقلة الالتزامات وكثرة وسائل الراحة... لكن الواقع خلاف ذلك!

لقد جاءتنا أمراض الأم المعاصرة. فالمرأة تنهض من فراشها بثاقل، ومن ثم تشكو من تراكم الأعمال...

تمضي الساعات في التواصل في (الإنترنت)... ومن ثم فهي تجري وتجري ولا تجد الوقت (لراحتها المأمولة).. وتسأله: أين يذهب الوقت ولا يرثه فيه؟! الفوضى تضرب أطنابها في بيتها وتعم كل مظاهر حياتها: ففي العبادة تسوف وتبرر تقصيرها...

وفي واجباتها الاجتماعية لا تؤديها في حينها، أو هي سلبية حتى لأقرب الناس إليها! وفي بيتها الإهمال، وتعلل بالأعذار وأنها مشغولة للغاية! حتى في مظاهرها فشيابها غير لائقة.

فما الحال للتخلص مما يهدى الوقت؟:

أولاً: لا بد من برنامج للعمل اليومي وخطة لتبعها نسلم من وباء الكسل والتسويف. نضبط وقت الاستيقاظ، ونؤكّد على أوقات الصلوات، والأعمال اليومية والواجبات والواجبات الاجتماعية والدعوية ومتابعة الأولاد.... الخ.. ونخطط جيداً وبكل دقة وبراعة، نعرف ما سنفعل فنسعى إلى تحقيقه. وذلك دون استعجال التثائج.. وبالصبر والاستعانة بالله نحصل على بغيتنا ونطور مهاراتنا ونحسن أسلوب حياتنا. فإن حسن التنظيم وعدم إهدار الوقت مما يساعد على العمل المنتج وتحقيق سعادة الأسرة.

والمرأة العاقلة الحكيمة تستفيد مهارات في إدارة الوقت:

فإن كانت مبتدئة في حياتها العملية فقد تدون ما نفذته من أعمالها، الأمر الذي يساعدها لمعرفة ما يلزمها عمله. وتتخلص مما يهدى الوقت من مكالمات تافهة ونحو ذلك. وتصبح بارعة في تدبير شؤون حياتها، مما يزيد من إنتاجها.

ولقد قيل لعمر عبد العزيز يوماً: (آخر عمل هذا اليوم وقم به غداً).. فقال، رحمة الله، لقد أغباني عمل يوم واحد. فكيف إذا اجتمع علي عمل يومين؟! أو ليس مؤسفاً أن يكون عطاء الأوروبي (٧) ساعات يومياً، بينما لا يتجاوز

عطاء المسلم (٣٠) دقيقة!!

وأسفاه! إن أمتنا بأسرها لتعاني من مغبة التسيب وإضاعة الأوقات، والذي تعيشه المرأة فضلاً عن الرجل.

فالواجب للاستفادة من الوقت كما ينبغي، ترتيب الأولويات، لتجعل الأمور التافهة أقل أهمية. نحسن التخطيط، وننفذ ما يمكن من مخططنا مع مرنة كافية، تجعلنا لا نشعر أننا مغلوب على أمرنا.

ثانياً: علينا أن لا نجعل أمرنا تحت رحمة الآخرين وحسب أولوياتهم: فلا نركن إليهم يضيعون أوقاتنا ويعيشون بها، ولا نجعل المهامات الاجتماعية ولو تافهة من أولى الأولويات. فإن من أكبر مضيقات الوقت الاستسلام للأمور العاجلة والطارئة التي يجدها الإنسان أمامه كل يوم. فهذا الاستسلام يسلب الإنسان فاعليته و يجعل وقته ملكاً لغيره.^(١)

أما من تهرع إلى الهاتف كلما سمعت زينه لتمضي قرابة الساعة في ثرثرة لا طائل تحتها.. ثم لا تجد الوقت للقراءة، أو لإنجاز الأعمال المقررة.. أو لتطوير مهاراتها.. أو تشكو من احتراق الطعام أثناء المكالمة! فإن أول واجباتها أن:

- تتعلم الاعتذار وتتخلص ببلادة مما لا ضرورة له.

أنا لا أقول نتهرب من الآخرين، لكن لا يعني ذلك الرضوخ لرغبات الآخريات وإهانة وقتنا لكل من هب ودب.

فلنحدد أوقات الاتصال لتصبح بعيدة عن الأنشطة المهدمة للوقت..

أو لتففل الموقد عند المكالمة الهامة، وتكون المكالمة بالقدر اللازم.

وكذلك الأمر في الزيارات التافهة أو السهر الطويل...

أما إنه لو طبقت الأولويات لاستراح الناس ولأسعدوا غيرهم...

ثالثاً: الاستعانة بالأخرين الأكفاء مما يوفر الوقت المناسب شريطة أن يكونوا أهلاً لذلك. فلا تعمل المرأة كل شاردة وواردة.

ولا تكلف نفسها بعمل يمكن لولدها الصغير أو للخادمة عمله. فتحسن توزيع المسؤولية ليتحملها كل حسب طاقته.

أما أن يصل الهوس في العمل بالبعض حد الوسوسة، حيث تخشى المرأة

١) العادات المشرفة الشخصية الناجحة، ٣٣٤.

تفويض أي مهمة إلى غيرها، فتضييع وقتها في أعمال بسيطة، فذلك ينافي
الحكمة المطلوبة.

هلا طورت نفسها وعودتها الأفضل؟!

إنها مدمرة البيت، لا عاملة لكل ما فيه من أعمال...
مع التأكيد على أن طلب المساعدة إنما يكون بقدر الحاجة، تأسياً بسلفنا
الصالح:

عن أبي مسلم الخولاني، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم: «ألا تباعون رسول الله؟!».

قال: فبسطنا أيدينا وقلنا: قد بايعناك يا رسول الله، فعلام نبايعك؟...
ال الحديث وفيه: «ولا تسألو الناس شيئاً».

فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم مما يسأل أحداً يناله
(إيه). (١)

وبالخبرة والمراس تسير الأمور بيساطة وانسيابية. وبالتعاون المتبادل مع
الآخرين تخف ضغوط الحياة، ولا يذهب الوقت أدراج الرياح.

رابعاً: سد منافذ الشيطان وذلك بصد أبواب النزاع والخلاف المهدر للطاقة
والتفكير والوقت.

فالشجار يعطل عن المهام الأهم وذلك في كل مجال من مجالات الحياة
وذلك في الأسرة أكد وأوضح وأسوأ الوساوس ما كانت بين الأزواج، ولقد جاء
في الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن إبليس يضع عرشه
على الماء، ثم يبعث سراياه. فأدناه منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم

(١) أخرجه الإمام مسلم، كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة.

فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئاً. ثم يجيء أحدهم فيقول:
ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته».

فیدنیه ويقول: نعم أنت. فيلزمك. (رواه مسلم وغيره)
نعود بالله من شر الشياطين.

فتبذل جهدها لتبعد أسرتها عن كل نزاع، والأولى أن توصى أبواب الخلاف
وذلك بالظن الحسن ما أمكن ذلك:

قال عمر رضي الله عنه: «لا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المسلم إلا خيراً
وأنت تجد لها في الخير محملاً».

وقال ابن المبارك رحمه الله: المؤمن يطلب المعاذير، والمنافق يطلب العثرات.
بالصبر والإحسان والظن الحسن تتألف القلوب، و تستقيم أحوال الأسر وهي
عمدة المجتمعات البشرية.

خامساً: اعتبار الأحوال والأوقات في ترتيب الأولويات:

فتعمل على مرضاة رب في كل وقت بما هو مقتضى ذلك الوقت ووظيفته
وهي كما ذكرها الإمام ابن القيم رحمه الله:(١)

- الأفضل في وقت حضور الضيف مثلاً، القيام بحقه والاستغفال عن الورد
المستحب وكذلك في أداء حق الزوجة (الزوج) والأهل.

- والأفضل في أوقات السحر: الاستغلال بالصلوة والقرآن والذكر والاستغفار.

- والأفضل في أوقات الأذان: ترك ما هو فيه من ورده والاستغفال بإجابة المؤذن.

- والأفضل في أوقات الصلوات الخمس: الجد والنصر في إيقاعها على أكمل
وجه والمبادرة إليها في أول الوقت.

(١) تهذيب مدارج السالكين، ٧٢-٧١.

- والأفضل في ضرورة الحاجة إلى المساعدة بالجاه أو البدن أو المال: الاستعمال بمساعدته، وإغاثة لهفته، وإشار ذلك على أورادك.
- والأفضل في وقت قراءة القرآن: جمع القلب والهمة على تدبره وفهمه حتى كأن الله تعالى يخاطبك به. فتجمع قلبك على فهمه وتدبره والعزم على تنفيذ أوامره أعظم من جمعية من جاءه كتاب من السلطان بذلك.
- والأفضل في وقت الوقوف بعرفة: الاجتهد في التضرع والدعاء والذكر دون الصوم المضعف عن ذلك.
- والأفضل في أيام عشر ذي الحجة: الإكثار من التعبد، لا سيما التكبير والتهليل والتحميد، فهو أفضل من الجهاد غير المعين.
- والأفضل في العشر الأخيرة من رمضان: لزوم المسجد فيه والخلوة والاعتكاف. دون التصدي لخالطة الناس والاستغال بهم. حتى إنه أفضل من الإقبال على تعليمهم العلم وإقرائهم القرآن عند كثير من العلماء.
- والأفضل في وقت مرض أخيك المسلم أو موته، عيادته وحضور جنازته وتشيعه.
- والأفضل في وقت النوازل وأذاة الناس لك: أداء واجب الصبر من خلطتك بهم دون التهرب منهم. فإن المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من الذي لا يخالطهم ولا يؤذونه. والأفضل خلطتهم في الخير فهي خير من اعتزالهم فيه. واعتزالهم في الشر فهو أفضل من خلطتهم فيه. فإن علم أنه إذا خالطتهم أزاله أو قللها، فخلطتهم حينئذ أفضل من اعتزالهم. فالأفضل في كل وقت وحال إشار مرضاعة الله في ذلك الوقت وال الحال، والاستعمال بواجب ذلك الوقت ووظيفته ومقتضاه».^(١)

(١) نهذيب مدارج السالكين، ص ٧٢-٧١، كتبه ابن القيم وذهبه عبد المنعم صالح العزي، ط ١، نشر مكتبة السوادي، جدة، ١٤١٣هـ.

ولقد قيل: من الغبن الفاحش تضييع الزمان فيما غيره الأهم.
وقال ابن الجوزي، رحمه الله،: إِيْشَارَةٌ مَا لَيْسَ بِهِمْ عَلَى الْمُهُمْ، مِنْ تَلْبِيسِ
إِبْلِيسِ).^(٢)

١) تلبيس إبليس، ١٣٤.

الخاتمة ..

ليس المهم الحياة، أية حياة.. وإنما أن نرقى بها لتحقيق أهدافنا، وأداء رسالتنا في عمارة الأرض وعبادة الله وحده لا شريك له.

والخير لا زال باقياً في أمّة الإسلام، وسيبقى إلى يوم الدين بإذن الله. والمسلمة الصالحة امرأة مباركة، تعمل بهدي هذا الدين، وتحاول نفسها حتى يسلس قيادها، وتتركها ل تستقيم لأمر الله.

تؤثر محاب الله على محابها، تحب في الله، وتبغض في الله، وترضى بما قسمه الله، وهذا منطلق عقدي يتمايز فيه الناس.

- توازن بين الحق والواجب، فتعمل واجبها دون تسوييف ولا تأخير ولا عجلة ولا اندفاع، ولا شكوى ولا تذمر.. فتحظى برضى الله وزواج سعيد وأسرة مستقرة، أو ذرية صالحة بإذن الله تعالى.

- تعنى بأسرتها وتطيع زوجها في غير معصية وتعاون معه على البر والتقوى تستشعر أوقاتها لعبادة ربها بما يناسب ذلك الوقت، فتحسن تنظيم أوقاتها وهي تعلم أن كل يوم يمر يقربنا من الدار الآخرة، فلا يجعله يذهب هباء فضلاً عن أن تحمل أوزاره.

- ولا تألو جهداً في إتقان عملها، وزيادة الصلة بكتاب الله وسنة رسوله.

• إن فهم الأولويات يمكّننا من فعل ما نريد وبقدر ما نطق.. وبقدر ما تكون أهدافنا في الحياة سامية، وبقدر ما تكون القيم فاضلة ومتوازنة، بقدر ما نحقق السعادة والراحة والطمأنينة.

- نعطي كل أمر حجمه الطبيعي: فلا تسوييف في الصالحتات، ولا اهتمام بالتوافه. فلا تأخذ اهتمامات الزينة فالهندام والخياطة والتخسيس نفس المرأة وقلبها.

نحسن التخطيط لنر كي أنفسنا، ونتمي قدراتنا. ونضع جدولنا موضع التنفيذ
ما أمكننا ذلك.. ولا بد أن نلمس جدواه بإذن الله:
قلوباً خالصة لله، ونفوساً زكية.. وحياة سهلة رخية.. ونجاحاً في الدنيا،
والفوز والفلاح بالأخرة.. وما ذلك على الله بعزيز.
نسأل الله تعالى أن يجعل من بيتنا قلاعاً حصينة تواكب تطلعاتنا، وتهض
بصحوتنا المباركة، وتعمر حضارتنا الزاهرة، وأن تكون نسواننا جميعاً من بناتها
وجزءاً من الخل المنشود.. لا من المشكلة التي أعيت كثيراً من المصلحين، والله
من وراء القصد.. إنه سميع مجيب.
«وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين».

• • •

الفهرس

الصفحة

الموضوع

| | |
|-------|---|
| ٣٠-٩ | المقدمة |
| ٩ | الفصل الأول: تمهيد |
| ١٠ | ١- المرأة والرجل في التكليف سواء. |
| ١٣ | ٢- الإخلاص لله، والنية الصالحة أساس لصحة العمل. |
| ١٣ | - معنى الإخلاص. |
| ١٤ | - المباحثات بالنية الصادقة تصير طاعات. |
| ٢١ | ٣- هل المشقة مقصودة في التكليف؟! |
| ٢٥ | ٤- تزكية النفس: |
| ٢٥ | - التخلص من العادات القديمة ليس متذرراً. |
| ٢٦ | - المحاسبة الذاتية نقطة البداية لتزكية النفس. |
| ٢٦ | - الأخلاق الحميدة تتکسب بالرياضة. |
| ٧١-٣١ | الفصل الثاني: الأولويات في ميزان الأصوليين والإداريين والتربويين. |
| ٣٢ | المبحث الأول: الأولويات في ميزان الأصوليين. |
| ٣٢ | ١- معنى الأولويات. |
| ٣٣ | ٢- مقاصد الشريعة. |
| ٣٧ | - العمل الواحد في ميزان الشرع يختلف حسب حال المكلف وحسب نيته. |
| ٤٢ | ٣- التمسك بالثوابت من الأولويات. |
| ٤٦ | ٤- فقه الموازنات. |
| ٥١ | ٥- بعض القواعد الأصولية في الأولويات. |
| ٥٢ | - النافلة لا يجوز تقديمها على الفريضة. |

| الصفحة | الموضوع |
|--------|--|
| ٥٣ | - إذا ازدحم واجبان لا يمكن جمعهما نقدم أو كدهما |
| ٥٤ | - درء المفاسد مقدم على جلب المصالح. |
| ٥٥ | - وجوب سد الذرائع. |
| ٥٨ | المبحث الثاني: الأولويات في ميزان الإداريين والتربيين |
| ٥٨ | ١- عملية ترتيب الأولويات. |
| ٦١ | ٢- وضع الأهداف ضرورة لا بد منها. |
| ٦٥ | ٣- أهمية التخطيط في الوصول للهدف. |
| ٦٥ | - تعريف التخطيط. |
| ٦٦ | - من فوائد التخطيط. |
| ٧٠ | ٤- خصائص الناس الذين يعيشون وفق المبادئ والمثل العليا. |
| ١٣٧-٧٣ | الفصل الثالث: الأولويات في حياة المرأة. |
| ٧٥ | المبحث الأول: العقيدة أولاً |
| ٧٧ | - تقوى الله له الأولوية القصوى. |
| ٧٨ | - أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله. |
| ٨١ | المبحث الثاني: العلم وأولوياته |
| ٨٢ | - أي علم ندعوا المرأة إلى طلبه؟ |
| ٨٤ | - العلوم المحمودة وأقسامها. |
| ٨٧ | - إذا اخالط التعليم بالحرام، فما الحكم؟ |
| ٩٠ | - لا يصح اعتبار مصلحة دنيوية تخل بمصالح الآخرين. |
| ٩١ | - الأولويات في طريقة التعلم. |

الصفحة

الموضوع

| | |
|-----|--|
| ٩٣ | المبحث الثالث: العمل الصالح: |
| ٩٤ | - شروط قبول العمل الصالح. |
| ٩٦ | - آثار الطاعة والعمل الصالح. |
| ٩٨ | - أفضل العبادات. |
| ١٠٢ | أداء الصلاة على الوجه الذي يرضي الله (من الأولويات). |
| ١٠٥ | - الأولوية لما يفضل غيره في الثواب. |
| ١٠٦ | - الصدقة تفاوت في الأفضلية. |
| ١١١ | المبحث الرابع: العمل في المنزل وتربيه الأبناء: |
| ١١١ | - الأمومة رسالة المرأة الأساسية. |
| ١١٦ | - التواصل مع الأبناء ومتى العلاقة معهم من أولويات الأم المربية. |
| ١١٨ | - خلاصة في أولويات دور المرأة في التربية. |
| ١١٩ | - البيت ميدان أساسى لعطاء المرأة. |
| ١٢٣ | - بعض المهام من الأولى تأجيلها. |
| ١٢٤ | - المرأة في حال المشاكل تبحث عن الحل وتنظم الأمور حسب الأولويات. |
| ١٢٥ | - طاعة الزوج أكد من التطوع بأعمال البر. |
| ١٢٨ | - تأدية الواجبات الاجتماعية. |
| ١٢٩ | المبحث الخامس: استغلال الوقت بما يرضي الله: |
| ١٣٠ | - قيمة الوقت. |
| ١٣٢ | - ما الحل للتخلص مما يهدى الوقت. |